أَيدمرُ الحبُّ العالمَ؟!

obeikan.com

أيدمر الحبّ العالم ؟!

رواية

أشواق المختار

ashwagalmokhtar@gmail.com

تويتر @ashwagalMokhtar

إنسقرام @ashwag_alMokhtar

المدونة

/http://ashwagalmokhtar.blogspot.com

obeikan.com

الاهداء

أحب الحياة و إن صعبت
ففـيها ثـــلاث أقـمار
أضاءوا ليلي الدامس
و ساووه بنـهاري

oberkan.com

ظروف الحياة قاسية تُغيرني

تُطريني تُحجرني وتُبكيني،

هنا أبكي، هنا أضحك، هنا ألعب

لساني ينطوي ألمًا

لا يشتكي لا يحتفي

ظروف الحياة قاسيةً

تُعذبني، تُفرحني، ثم تصدمني

obeikan.com

المقدمة

ماذا تريدين أن تُصبحي حينما تكبرين؟

إنه السؤال الأول الذي جعلني أبدأ بالتخطيط والتفكير بمستقبلي، أنسج أحلامي، وأرسم مستقبلي في خيالي، تمضي السنين، تتوالى الأحداث، كل حدث يخبرني بأنه لم تكن لي حرية الاختيار، وأن هذا السؤال لابد أن يتغير إلى:

ماذا سيفعل بكِ العالم يا آستر؟

قصة حياة الشابة آستر، لا توصف بأنها سعيدة أو حزينة، خليطٌ غريب بين الرغبة والرهبة، الخيال والواقع، حياة وُلِدَ فيها الحب من الخوف، حبًا حادًا حاسمًا، يجعل الاختيار أمرًا مستحيلا، من منّا يختار بين الموت والحياة؟ ذلك ليس خيارًا.

العالم في قصة آستر استثنائي، تسيطر فيه القوة المطلقة، وتقف في وجه العدالة الملوثة، لا يوجد مفهومًا واضحًا للخير أو الشر فيها، بل إنها تصور كيف أن النفس تحمل كِلا الأمرين فيها.

الروح في هذه القصة تناضل في سبيل عيشها وخلاصها من الموت، ومن الحزن، وتناضل أيضًا في سبيل تلك الزهرة التي تنبتُ في القلب، ويرويها شعور الرغبة في السعادة، "زهرة الحب"، وإن كان الحب هنا استثنائيًا، وإن كان الحب هنا يقابل نجاة العالم أجمع!

هل يدمرُ هذا الشعور الرقيق العالم؟ هل أصبحنا في عالم نقايض فيه جمال الحب بسلامةِ الأبرياء؟ لِمَ حدث هذا وكيف!

هذا ما سترويه قصة الجميلة "آستر جون".

obeikan.com

الفصل الأول

أنا أعرف خطأي، فقد أحببت رجلا لا حدود لطموحه الآثم، كل ما يرغب به هو أنا ومن ثم امتلاك أكبر قوة على وجه الأرض (أحجار الجحيم) المادة التي صنعها العالِم جوزيف إل وانتحر قبل أن يشاركها مع العالَم، ستيل هارت الشاب الذي حطم توقعات أقوى رجلٍ على وجه الأرض بلا منازع، الذي مهما بلغت القوة المجابهة ضده يغلبهم وحده، فيبدون للعالم كالحمقى أمامه، أراد أن يفرض نفسه إمبراطورا على البشرية والاستيلاء على أحجار الجحيم سيضمن له انكسار قوى العالم ضده، هو يكاد أن يقضي على أعدائه الثلاثة من مختلف أنحاء العالم عدة مرات، هم أيضا يملكون قوى عجيبة، وهم أيضا في سباق مع حبيبي ليمتلكوا تلك القوة لإيقافه وإخماد غروره، وفي خضم الأحداث وقعت في مصيدة الأبطال الثلاثة وأسرت في مقرهم السري، لا أعلم أين أنا هل أنا على سطح الأرض أم تحتها، هل أنا في كهف جبل أم بوسط المحيط، هم لم يسمحوا لي أبدا برؤية السماء التي اشتاقت لها عيناي.

طلبت من قائدهم توماس مذكرة وقلم أو حاسب آلي مرات عديدة، علي إن كتبت مذكراتي سيمنعني هذا من الانغمار بجوف ظلمات الجنون، فتنازل لي عن هذه الآلة العتيقة لعل عمرها قارب المئة سنة، أقسم بأنني لم أقترف خطأ في حياتي فأنا لم أؤذي أحدا، حتى أنه ليس لي يدا في هروبه من السجن، هم ينظرون إلي وكأنني قتلتهم وكأنني ارتكبت جرائمه، أنا لم أتقبل ما يفعل لكن قلبي ليس بيدي إنه بيده هو وهو أحبني وأدمن علي، على صوتي على وجهي وعلى دفء جسدي، عندما نكون لوحدنا لا أصدق بأنه قد يؤذي أحدا، لا أصدق بأنه قد يقتل رجلا لكنه فعل! لا أصدق بأنه قد يسرق دولا لكنه فعل! لا أصدق بأنه سيُنزل الدمار على البشرية من أجل أن ينال ما يريده لكنه الآن يفعل!

الفائدة الوحيدة التي جنته يداه هي اتحاد دول العالم وانقلابهم سويا ضده في محاولة عنيفة لإيقاف تطوره وتوسعه بينهم، توقفت الحروب وأصبحت للعداوة كفتان إما معه وإما عليه.

هل تحبون أن تعرفوا قصة حبي معه، إذا ها أنا سأحكيها لكم..

أنا آستر جون ولدت وترعرعت في ضواحي مدينة نيويورك.

بدأت قصتي معه عندما عينت ممرضة في أخطر سجن في العالم، وهو سجن لأصحاب القوى يمكنهم أن يرفعوا سيارة كما يمكنك أنت أن ترفع ريشة، يمكنهم أن يحلقوا في السماء كالصواريخ يمكنهم أن يلعبوا بإرادتك كيفما شاءوا.

نحن ندعوهم (الخارقون) وعندما يولد لأحدهم طفل بهذه القوة، يتبدل وضعهم وكأنهم ربحوا اليانصيب، ويعطى الأهل معونة كبيرة ورقابة مركزة، فهم لا يرغبون بطفل مختل يمتلك قوى هائلة ليعصف بالعالم كيفما شاء، بل حتى أن مستقبلهم متنبأ به، فهم دائما ما يعملون لدى الحكومات في الأمن القومي أو في الجيش والشرطة، وبمرتباتٍ ضخمة، حتى أنه شيع بين الناس بأنها تتعدى الستة أصفار، هكذا هو النظام في جميع الدول، وافقت على مضض لأُوظف هناك على أنني سأطالب بنقلي، سأوكل محاميا جيدا وسأودع زملائي قبل أن أتعرف عليهم، فقط علي أن أجمع بعض المال، فالأحداث السيئة تحدث لمن يخالط الخارقون وتزداد الخطورة حينما يتضمن المكان الخارجون عن القانون منهم، عندما بدأت الوظيفة حقنت بمادة تغير البصمة الجينية داخلي، عملها الأساسي أن يقاوم جسدي أوامرهم وأن تكون لي إرادة حرة في قراراتي دون أن أتأثر بهم.

قال لي الطبيب السيد إدوارد رئيسي في العمل، أنها لحمايتي لأنني سأواجههم مباشرة وسأكون هدفا سهلا لهم وهذه المادة ستمنعهم من اللعب بإرادتي، إنها تجعلنا نوعا ما نشبههم، نكتسب شيئا من المناعة منهم.

قديما قبل اكتشاف هذه المادة لم يعمل في هذا السجن إلا أمثالهم فهم لا يمتلكون المقدرة على تسلط بعضهم ببعضهم، لكن الآن عندما توفرت لنا الحماية من سيطرتهم علينا، استخسرت الحكومة وجودهم هنا وفضلت استغلالهم في الخارج حيث يمكنهم القبض على أمثالهم والتحقيق معهم. ألمتني الحقنة كثيرا لكنني ممتنة لها، العديد لا ينعم برفاهية الحصول عليها فسعرها مرتفع جدا.

بدأت بتصفيف شعري الأسود لملمته وربطته بربطة سوداء غسلت وجهي بالماء البارد فتوردت وجنتاي على الفور، أحبطت فأنا لا أرغب بالتجمل، لن أطيق التعليقات التي سيلقونها علي، بالطبع سيكونون مزعجين لي ارتديت ملابس العمل، قميص أبيض وبنطال أبيض فتباين لون شعري وعيناي السوداوان مع زيي الرسمي (أوه يا آستر السخيفة ستدخلين إلى وكر أسوء الخارقون وكل ما تقلقين منه هي تعليقاتهم السخيفة، هيا يا عزيزتي أنت مررت بأسوأ من مجرد كلمات رخيصة، أنت تضورت جوعا وبلغ منك الإجهاد مبلغه، محاولة التوفيق بين عملك الجزئي ودراستك الطويلة، إن كان هناك تعليقات مزعجة فهي لن تضرك)

أخذتني الممرضة "كارين" في جولة داخل المبنى بأمر من الطبيب، وحدثتني بمعظم القوانين التي لا يمكن مخالفتها والتي أعرفها مسبقا في دورة التدريب قبل البدء هنا، لكنني استمعت بصبر إلى تذمرها المستمر من تشدد المدير في هذا الأمر، ثم قابلنا الحرسين "بين" و"ماثيو" وعرفتني عليهما، تبادلنا التحية، ماثيو قصير بجسم نحيل له شعر أحمر يواجه كارين بوقفته أينما تحركت، فيتحرك موازيا لها فعلمت بإعجابه بها، كما أن كارين بدت وكأنها توجه حديثها كله لماثيو أما بين فقد تحمس واتسعت ابتسامته فور رؤيتي وصافحني وهو يغدق بإطراءه علي.

_ وأخيرا سبب يشوقني لعملي.

أجامله بابتسامة هادئة بين شاب طويل عريض المنكبين قمحي البشرة ذو شوارب عريضة، لا أرتاح له فعيناه الجاحظتان تكاد تخرج من رأسه علي، هذه النظرات تلتهمني بلا رحمة علي أن أهرب من هنا.

تكة صغيرة صدرت من ساعتي لتعلن عن بدء العمل اليومي، انتهزت الفرصة فغادرتهم متعجلة، أقابل الطبيب إدوارد رجل في منتصف الأربعينات، خلوق، قد يبدو بدينا لكنه نشيطا للغاية، وبالكاد أنجح في ملاحقته وحفظ ما يقول، سيكون يومي الأول معه ومن ثم قد أستقل بمكتب لي.

دخلت العيادة وجهزت أوراق المريض الأول هو جاك جونسون، قاتل من الدرجة الأولى يقتل للمتعة فيقف في الطرق السريعة بغتة لترتطم به السيارات الممتلئة بالعائلات المطمئنة، ليقضي عليهم ولا يصاب هو بخدش، أرعب الناس وأصبحت الطرق شبه خالية، حتى أنا فضلت الابتعاد عن هذه الطرق في تلك الأشهر التي مارس بها هوايته المريعة.

كنت مرتعبة للغاية، أي امرئٍ كان بإمكانه قراءة مخاوفي، كنت أتحرك باضطراب وأدور في غرفة الكشف محاولة تهدئة أعصابي، فمن المجنونة التي ترغب بالتواجد بالقرب من المجرمين أصحاب القوى الخارقة في غرفة واحدة، دخل الطبيب إدوارد الذي لاحظ توتري، فقال:

_ لا تقلقي منهم فهم لا يستطيعون التحرك إلا بأمر مني ومن الحرس، كما أن السجن مزود بتيار مغناطيسي يمنعهم من التحليق داخل السجن أو خارجه لمساحة لا يقل قطرها عن خمسة أميال.

أخذت نفسا عميقا وقلت له بصوت مرتجف

_ شكرا أيها الطبيب.

كنت بحاجة لهذه الكلمات التشجيعية لأحس بقليل من الراحة لكن ما زالت يداي ترتجفان.

غالبية الجدران كانت من الزجاج المضاد للرصاص، فكنت أرى من سيدخل من بعيد أنه المريض الأول من أصل أفريقي، كان ضخم الجثة مفتول العضلات، يلعن و يشتم كل من يقع على ناظريه بشفتاه الغليظتان، يا لا هذه الورطة ألم يجدوا رجلا أهدأ منه في يومي الأول، وفي مريضي الأول، دخل السجين الغرفة وأطلق الشتائم على الطبيب، طلب مني الطبيب قياس ضغطه، وأخذ عينات من دمه فعلت ما أمرني به، توقعت كما هائلا من الشتائم حين كسرت الإبرة من صلابة يده لكن جاك ظل صامتا لعله يجهز لي سبابا محترما.

قال الطبيب متململًا معتادًا على ما يواجه من سلوك المساجين هنا:

_ أرخ يدك يا جاك لن تدخل الإبرة وأنت مشدود العضلات هكذا.

نظر إلي جاك الضخم وفتح فمه توقعت منه شتائم مهولة قذرة لكنه قال:

_ أنا أسف عزيزتي جربي الآن.

دهشت منه ومن تصرفه الغريب فقال:

_ماذا ألا يمكن أن أكون مهذبا، أمي قالت لي الرجل الحقيقي لا يصرخ على امرأة.

ابتسمت له لا إراديا هاهو يتلطف إليَّ وفي السابق يقتل عائلة بأكملها أي نوع من الرجال هو، النوع المختل بلا شك.

انتهيت منه وذهب كما جاء ساخطا شاتما لكل رجلٍ يراه.

توالى المساجين واحد بعد الآخر يغلب عليهم الحديث الفاسق والشتائم الشنيعة، كان نهارا مزعجا حتى قارب على نهايته.

وقفت أمام المرآة الصغيرة وغسلت وجهي بالماء البارد، نسلت ربطة شعري لينزلق على كتفي، وكأنه سئم أسري له فقررت تركه على حاله كانت الغرفة خالية هادئة وكنت أنا متعبة نعسة، استلقيت على سرير المرضى ورميت بحذائي بجانب السرير الأبيض، ولم أشعر بنفسي إلا وأنا أصحو على صوت الطبيب إدوارد.

_آستر آستر استيقظي بقي مريض واحد.

أفقت متثاقلة وقفت وأنا حافية القدمين، دخل السجين الأخير، ودخل قبله مجموعة من الحراس، كانوا هم أيضا من أصحاب القوى.

صدمت عندما رأيت وجهه فقد ميزت ملامحه من جميع قنوات الأخبار، إنه القاتل الأول في العالم حكم عليه بالموت عشرون مرة، وفي كل مرة ينجو، ويهرب من سجنه، وحينها ترتعب جميع الدول فهو إن ضرب يضرب بشدة، يقتل بلا هوادة، لا أحد يتمكن من أن يقف في طريق نجاحه، جملته المشهورة:

(إن لم أحكم العالم من سيفعل)

أثارت رؤيته الرهبة داخلي، حقيقة أنه لا تفصلني سوى ثلاث خطوات عنه تصيب أطرافي بالشلل.

أخذت حذائي وأنا أكاد أسقط من الخوف، تعرقلت ثم استعدت توازني، بدأت يداي بالارتعاش بغضت هذا الشعور الفظيع لا أستبعد أن يفجر السجن بأكمله حتى يهرب من هنا.

كان ينظر إليَّ مسترخيا ويقول بابتسامة شاب واثق:

_ على رسلك عزيزتي فأنا لن أمضي إلى أي مكان على الأقل هذا اليوم.

أثارت عبارته حناقة أحد الجنود فوكزه بسلاحه ثائرًا

_ اخرس أيها الأحمق.

لم يرد على الجندي بل أنه حتى لم يغير نظره عني لا يبدو بأنه شعر بتلك الضربة القوية، انتهيت من ارتداء حذائي وأحكمت على شعري الربطة السوداء، هيأت السرير له ليستلقي عليه، أحضر الطبيب حقنة بداخلها مادة خضراء وخطا نحو المجرم "ستيل" سمي من قبل والده بستيل أي الفولاذ عندما علم أن ابنه خارق القوى، يقال أنه هو من زرع فكرة السيطرة على العالم في رأس ابنه منذ نعومة أظافره.

شرح لي الطبيب إدوارد قائلا: نحن نحقنهم بهذه المادة كل أسبوع لتخفف من قواهم الخارقة لكن السيد ستيل سنحقنه بها كل يومين لأنه ليس بالسجين السهل إنه أقواهم على الإطلاق.

استلقى ستيل على السرير الأبيض مكبلًا بالفولاذ والحديد كان أسود العينان، أسود وأملس الشعر، نحيل الجسد؛ لكنه يبدو بلياقة ممتازة، بشرته بيضاء لا شائبة فيها.

اقترب منه الطبيب، وطلب منه أن يفرد ذراعه فقال ستيل ببرود.

_ لا لن تُدخل هذه المادة بداخلي.

قال الطبيب مهددا رافعا نبرة صوته عله أن يخيف السجين الذي أسس إمبراطورية بنيت من العدم

_ ستصعق بالكهرباء إن لم توافق عليها، ليست لديك الحرية الآن.

لكن هيهات هيهات... وهل يهدد عدو العالم بجملة قصيرة، نظر إليه ستيل بطرف عينه وقال ببرود:

_ افعل ما شئت.

أشار الطبيب للجنود، فأحضروا جهازاً بحجم شنطة سفر صغيرة لها أزرار كثيرة وأسلاك عريضة ملونة، ثم عروه من الملابس لم يتبقى إلا سرواله الأسود الذي يغطي ثلاث أرباع فخذه، وأوصلوا جسده بالأسلاك العريضة أشار إلي الطبيب بالخروج، فقال ستيل بابتسامة واسعة وعيناه تراقبني بإصرار.

_ لا تدعوها تخرج إنها الوجه الوحيد الجميل في هذا السجن.

رباه أي قلب لديه، سيتعرض للتعذيب حتى الإغماء وهاهو يعلق وكأنه يجلس في مقهى يحتسي القهوة على كرسي وثير.

ارتحت لطلب الطبيب فخرجت على الفور خوفا من أن يغير رأيه، وجلست على كرسي وحيد في الغرفة المجاورة، ثم سمعت صوت صراخ ستيل الرهيب، كان يتعذب بشدة ظل يصرخ لعشرة دقائق حتى ظننت بأنه سيعدم الآن، وبعدها ساد الهدوء وعلا صوت الطبيب يقول:

_ يا إلهي أي قوة هذه، آستر تعالي إلى هنا.

دخلت لأجد السرير قد كسر ومزق بالكامل، كان الطبيب منفعلًا متعرقًا، فناولني الإبرة الخضراء وطلب مني أن أحقنه بها، خفت كثيرًا من أن يستيقظ وأنا بجانبه فيقتلني، هو كان وكأنه نائمًا في سلام، لم يكن به أي حروق، بشرته بيضاء بلا شوائب، شعره يلمع بلا عيوب، غرست به الإبرة في ذراعه سريعا، وفرحت كثيرا حينما انتهيت، وابتعدت عنه، استأذنت الطبيب للمغادرة فساعات العمل قد انتهت، وغدا سيكون كاليوم حافل بالمرضى حافل بالضوضاء.

عدت إلى شقتي الصغيرة لأجد جاري السكران يلقي بكلمات هوجاء كملابسه قذرة ورخيصة، فتحت الباب سريعا وأقفلته خلفي، علي الخروج من هنا فهذه البناية ليست آمنة كعملي تماما، عند أول مرتب سأخرج من هنا.

كان اللقاء الثاني بعد يومين أحضروه على كرسي بعجلات، لم يحط به عدد كبير من الجنود كالمرة السابقة بل جندي عادي بلا قوى، أدخله غرفة الكشف وخرج، أما الطبيب كان بالخارج يحدث زوجته على الهاتف، حاول ستيل أن يصعد على السرير لكنه ما أن وقف سقط أرضا وتأوه، بقيت بعيدة عنه فأنا لن أخاطر بنفسي لأجله لن تقتله الأرض، دخل الطبيب وأمرني بمساعدته، كنت سأرفض لكنني تذكرت شقتي المتواضعة وجاري السكران ورغبتي الشديدة بقبض أول مرتب لي، فاقتربت من ستيل لكنه أشار بيده ألا تقتربي، لعل كبرياءه لا يسمح بمساعدتي له، حاول هو الوقوف عبر تسلق السرير الجديد، التفت الطبيب إلى ستيل وقال: لا تقلقي هو لن يقدر على إيذاءك.

أجبت الطبيب بعناد وكأنني طفلة صغيرة تلقي باللوم على زميلها.

_ هو لا يريد مساعدتي.

ساعده الطبيب رغم رفض ستيل فعاونه على تسلق السرير، قائلا:

_ لو أنك تعاونت معنا لما أصبحت بهذه الحالة.

مرر يداه على شعره الأسود القصير ليعيده إلى الوراء، وقال بكبرياء وإرهاق واضحين:

_ لم أطلب مساندتك.

تجاهله الطبيب وأحضر الحقنة الخضراء، وناولني إياها، قائلا:

_ هل تريدين فعلها.

أجبته وأنا أهمس له:

_ لا.

تضايق الطبيب قليلا وتأفف بملل لكنه أكمل طريقه إلى ستيل، قائلا:

_ ستكون لديك مسؤولية حقن ثلث المساجين، سأرسل لك المهذبين منهم.

أقولها بامتنان صادق:

_ شكرا لك.

يبدو ستيل مهذبا على الرغم من جرائمه فهو لم يشتم أحدا، ولم يقبل مساعدتي، لعله لن يؤذيني أيضا، يتملكني فضول لما في رأسه، أي حب للسيطرة متعمق في قلبه، ترددت لكنني قلتها وقد تقدمت بضع خطوات ومددت يدي إلى الطبيب:

_ سأفعلها أنا.

ارتاح الطبيب واسترخت ملامح وجهه، ناولني الحقنة فأخذتها من يده، خطوت نحو ستيل وفردت ذراعه، فتح عينيه السوداوان وقال:

_ الحمد لله أنه أنت، فأنا لا أطيق ذلك الطبيب القبيح.

عيناه المظلمتان تفتن روحي، (ماذا يا آستر هل ستتعلقين به بهذه السرعة كوني أكثر تعقلا بحق الله، هذا مجرم دولي، وليس شاب صالح للزواج)

أدرت عيناي بعيدا عنه، ومركزة في ذراعه فأنا أوافقني الرأي في الحقيقة،

أدخلت محتويات الإبرة في ذراعه، تعرق جسده وارتجفت يداه، قال لي الطبيب:

_ عليك الآن خفض حرارته بالماء، فجسده لم يعتد على هذا الدواء، والحرارة تفسد مفعوله، هل ستكونين بخير معه؟

أخذت قطعة قماش وغمرتها في صحن الماء المثلج، ومسحت جبينه بها، لم يكن هنالك شيء لا أعرفه، فنحن نأخذ دورة شهر كامل في كيفية التعامل مع السجناء الخارقون قبل التخرج، وهذا استعدادا لخدمة وطننا في سجون الدولة.

_ نعم سأكون بخير.

بدا لي جسده وكأنه يحترق بشدة، خرج الطبيب إدوارد ليهتم ببقية السجناء وبقيت أنا مع ستيل، أفعل ما بوسعي لمساعدته و هو يهذي إليَّ:

فمرة يقول:

_ عندما أحكم العالم سأقتل ذلك الطبيب الأبله.

ومرة يقول:

_ أنت حلوة جدا كقطعة حلوى.

ومرة يقول:

_ سأخرج من هنا سريعا، لدي جواسيس في كل مكان.

ومرة يقول:

_الأحمق توماس سأسجنه داخل فوهة بركان ثائر.

ثم يضحك بعد كل عبارة.

عندما أستثني حبه للسيطرة على العالم فهو يبدو شابا محبوبا للغاية، وسيم، ومهذب، وعندما يطريني استشعر بالقشعريرة تسري في جميع أنحاء جسدي، مسحت جبينه بقطعة قماش رطبة وقلت بصدق:

_ فقط لو لم تكن بهذه الطموح الخاطئة.

فتح عيناه السوداوان وابتسامة شاحبة تعلو شفتيه، قائلا جملته المشهورة:

_ إن لم أحكم العالم من سيفعل.

ثم يفقد وعيه من جديد.

أرهقتني حرارة جسده، علي أن ألتزم بالنظام الذي درسته، فطلبت من الحراس توفير حوض يتسع له، وملأته بالثلج و الماء، أخذه الحراس وألقوه بقسوة داخل المغطس فغضبت، وأحسست بنبضات قلبي تتضخم بعنف وصحت بهم.

_سأكتب تقرير عما فعلتماه، هذه ليست أخلاقيات العمل.

رد علي أحدهما بعد أن مط شفتيه بازدراء.

_هل تشفقين على هذا القاتل ألا تعرفين من هو؟

فيما قال الأخر مغادرا:

_ أكتبي ما بدا لك فأنا لا أهتم.

خرجا الحارسان وبقيا خارج الباب فيما بقيت أنا مع ستيل، بدأت أشفق عليه هاهو من اعتاد القوة، يهذي بلا سيطرة، يؤذى بلا قدرة للدفاع عن نفسه، حاولت جاهدة إبقاءه فوق مستوى الماء خشية غرقه، لكنه ينزلق من يدي كل مرة فشمرت عن يداي، وجلست خلف الحوض لأحيط يداي بجسده كي لا يسقط، مرت عشرة دقائق حتى انخفضت حرارته، وبدأ يفوق ويصحو لنفسه فتركته، عضلات يداي تصرخ ألما.

نادى علي بصوت ضعيف:

_ يا صاحبة الوجه الجميل، أنا بخير هلا عدنا إلى السرير.

عاونته على الوقوف، وأحضرت له منشفة وثيابا جديدة جافة، قلت له:

_ جفف جسدك جيدا، وارتدي هذه سأنتظرك في الخارج.

خرجت إلى غرفة العيادة أخرج بطانيات إضافية من أدراج دولاب حديدي، خرج هو بعدي بثيابه الجديدة، كان يتأرجح يمينًا ويسارًا، تأثير الحقنة الخضراء قوي جدا على جسده، حتى هو أشهرهم قوة يتحول إلى رجل عليل بسببها،

عاونته حتى استلقى على السرير، ليس من المسموح له بالعودة إلى زنزانته حتى تستقر درجة حرارة جسده، غطيته بثلاث طبقات من بطانيات الصوف الرمادية هذه ستجعله يشعر بالتحسن والراحة.

الساعة الثالثة مساء، هو نائم بعمق، وأنا أكاد أموت من التعب، يتسلط النوم علي فأغفو ويدي على جبينه، عندما استيقظت لم أجده أمامي وقد اختفى الحارسان من أمام الباب أيضا، لعل الطبيب إدوارد سمح له بالعودة إلى زنزانته، الإرهاق يصيبني بالصداع، فأستلقي على السرير وأرحل إلى عالم الأحلام.

استيقظت الساعة الرابعة عصرا انتهى الدوام منذ ساعة مضت، لم يزعجني الطبيب خلال نومي لعله يعرف أن الاهتمام بسجين جديد متعب هكذا.

سأعود إلى شقتي وجبة ساخنة هناك ستعيد إلي هدوئي.

عندما خرجت من المصعد كان الممر هادئا لعل جاري "براند" نائمًا الآن، هذا أفضل أدخل سريعا خوفا من مواجهته، تكفيني كلمات السجناء البذيئة، رأسي لن يحتمل كلمة أخرى، حمام دافئ ووجبة ساخنة (مكرونة فيوشيني) وجبتي المفضلة التي أكلها بلا ملل منذ ثلاثة أسابيع، فتحت التلفاز على قناة أخبار، ستيل هارت يقبع في سجن (الخارقون ١٢)

للمرة الواحدة والعشرون، وهذه المرة تؤكد السلطات إعدام ستيل هارت.

تبدو المذيعة المتأنقة مرتاحة جدا لهذا الخبر، أغير القناة أيضا ستيل هارت ضمن قائمة أكثر الرجال جاذبية في العالم، لا أنكر هذا بالأمس شعرت بعينيه تخترقا روحي أنه فعلا رجلا جذاب، مهلا يا آستر ليس من الآمن لك الوقوع تحت سحره، لا مزيد من ستيل هارت إنها فقط علاقة عمل، لن تكون أقل من ذلك ولا أكثر، أقفلت التلفاز فغدا سيكون يوما طويلا.

الساعة الثامنة صباحا اللعنة كيف نمت هكذا، ليس من الجيد التأخر في الأيام الأولى من عملي، حمام ساخن على السريع، وقطعة خبز باردة تكفيني الأن على الأقل، إلى أن أنتقل من هذه الشقة البائسة، أخرج لأجد جاري براند السكران مستلقٍ أمام شقته.

أيقظه صوت مفتاحي وأنا أقفل شقتي، ينظر إلي بوقاحة ويقول:

_ آستر الحلوة أشعر بالوحدة، لمَ لا ندخل إلى شقتك ونقضي وقتا مميزا؟

أجبته وأنا راحلة:

_اذهب إلى الجحيم.

_ فتاة ملعونة.

وأنا في طريقي إلى مبنى العيادة أجد ستيل هارت يستلقي لوحده في ساحة السجن الواسعة فوق أعشاب الإنجيل المخضرة، جميع نزلاء السجن فضلوا الابتعاد عنه، هل يمكن لرجل مثله الاحتفاظ بهيبته رغم زوال قوته! فهو ليس أكبرهم حجما، كما أنه في الخامسة والعشرين من العمر فقط، يتنبه لي أحد السجناء ضخم الجثة كريه المظهر فيصيح قائلا:

_ لما لا أحظى أنا ببعض الاهتمام.

ينتبه ستيل إلي وأنا أراقبه من بعيد، أحسست بالغيظ بسبب ذاك السجين البغيض، فشددت قبضتي أتمالك أعصابي وأتجاهله مغادرة، مضيت إلى مقر عملي، لم يكن الطبيب غاضبا أو حتى متضايقا من تأخري أو لم يكن لديه الوقت الكافي للحديث معي، طلبت إدخال نزلاء السجن.

مر اليوم مرهقا متعبا لكنه سلسلا، مازلت أفتقد شيء ما أو لعله شخصا ما.

غدا موعدي مع ستيل هارت، كم أتشوق للقاء به.

لحظات ويدخل ستيل أنظر لنفسي في مرآتي، القليل من ملمع الشفاه، ورسمة فرنسية صغيرة على عيني لتزدادا اتساعا، هذه المرة يدخل ستيل بنفسه يرافقه جندي يبدو بحالة جيدة، يمشي بثقة يداه وقدماه مكبلتان بالحديد، هاهم قد أطمئنوا له بعد تلك الإبر الخضراء، يقول بصوت هادئ:

_ مساء الخير يا طبيبتي الفاتنة.

أخجلتني كلماته فأحسست بالدماء تتدفق إلى وجنتاي.

_ أنا لست طبيبة أنا ممرضة.

_هذا أفضل فأنا أكره الأطباء.

ابتسمت له من قلبي وشعر هو بذلك، مد يده.

_ لم نتعرف جيدا أنا ستيل هارت، مجرم دولي وملك المستقبل.

لم أعرف حقا هل أحزن أم أضحك، فاكتفيت بابتسامة صغيرة وصافحته قائلة:

_ آستر جون ممرضة متخرجة للتو ومتلهفة للخروج من هنا.

عقد حاجبيه متضايقا.

_ حقا ألن تبقي من أجلي، على الأقل حتى أهرب من هنا.

تجاهلت سؤاله وأنا أثبت حزام قياس الضغط على يده.

_ كيف حالك اليوم؟

_ سيء للغاية حلقي يؤلمني، هلّا ألقيت نظرة.

لا يبدو أنه مريض، إنه فقط يتلاعب بي.

_ حسنا أفتح فمك وقل آه.

_ آاااااااه

_لا أرى ألتهابا، هل أنادي لك الطبيب إدوارد؟

لوح بكلتا يديه، قائلا:

_ لا لا، أشعر بأنني تحسنت كثيرا.

حقنته بالمادة الخضراء، لا يبدو بأنها تؤثر عليه كما في السابق، حرارته مستقرة تماما.

_ خبر رائع يا سيد هارت يبدو أنك لن تقضي الليلة هنا.

عبس مازحا قائلا:

_ لماذا فقد أحببت أخر ليلة قضيناها سويًا، أرجوك ناديني ستيل.

_ سيد هارت يمكنك الرحيل الآن.

وقف واقترب مني بسرعة، حتى أحسست بوجنته تلامس وجنتي وهمس في أذني

_ هل يمكنني أن أطلب قطعة حلوى بالكراميل، فهم لا يقدمونها هنا.

هجم الحراس عليه بعنف وأخذوه بعيدا عني، أقشعر جسدي عندما همس لي، أحببت قربه مني مع أنه أخافني، إنه الشعور المتناقض الذي حيرني.

_حسنًا كيف هو؟ هل هو وسيم كما يقال في التلفاز؟ أم أن سحر التلفاز جعله يبدو كنجم أكثر من مجرم؟

تقول صديقتي ماري ونحن نتجول في المركز التجاري.

أشعر بالحرج من إجابتها فإن أعجبت بأحدهم فأنا أكره الحديث عنه، حرارة وجهي ترتفع، فتصيح ماري:

_ أنت معجبة به، وجهك يحمر بسهولة يا فتاة، انتبهي من الوقوع في الحب معه فهو رجل مخيف!

obeikan.com

_ أوه يا ماري أنت تبالغين هي دقائق معدودة كل يومين، أنا أبدا لن أحبه.

أرى محل متخصص في الحلوى فأتذكر همسات ستيل الدافئة، ندخل المحل سويا و"كايت" تثرثر عمّا تقوله الأخبار بشأن ستيل هارت وأنا أبحث عن حلوى الكراميل، أقف أمامها مترددة فتقول لي ماري:

_ عزيزتي إن أردت الحلوى فاشتريها، ليس عليك القلق على قوامك فأنت في أمان، أما أنا علي أن أبتعد بقدر ما أستطيع من هنا.

أخذت قطعتين منها، وأدفع للشاب صاحب المحل، لن أعطيها له فقط سأجرب ما يحبه ستيل هارت، إنه فضول لا أكثر، تستأذنني ماري لترحل إلى موعدها مع زوجها "رون"، فأعود إلى شقتي الساعة التاسعة مساءً، جاري براند يزداد وقاحة يوما بعد يوم، أخرج رذاذ الفلفل وأشد عليه بيدي ويدي الأخرى تحمل مفتاحي، يتوقف المصعد أمام الممر المؤدي إلى شقتي، براند يجلس متكئًا على بابه، وزجاجة كحول تنسكب بجانبه، يلتفت إلي ويبتسم بقبح.

_أنت تعلمين أنني أريدك لما لا تسلمين نفسك إلي، وتريحني من مطاردتك طوال اليوم.

اللعنة هو مزعج قذر في السابق، لكنه يبدو أكثر إخافة الليلة!

_ إبقى بعيدا يا براند سأتصل بالشرطة إن لمستني.

أُسرع الخطى من أمامه، وأفتح باب شقتي، شعرت ببراند يدفعني إلى الداخل، ألتفت أليه ودفعته، وحاولت رشه برذاذ الفلفل لكنه لوى ذراعي، وألصق وجهي بالجدار، ثم ألصق جسده المنتن بي، أحسست بيدي وكأنها ستكسر، فأرجعت رأسي بقوة لأصيبه في أنفه، تراجع هو إلى الوراء، ودماءه تتصبب من فتحتي أنفه، وهو يصرخ بانفعال:

_ أيتها الملعونة أيتها الملعونة البائسة.

سقط أرضًا خارج الشقة فأقفلت الباب، اتصلت بالشرطة وأنا أنتحب بصوت خافت، شرحت لهم ما حدث بكلمات متقطعة ثم وصلوا بعد عشرين دقيقة، براند فر هاربا ولا أثر له، ظللت أصرخ في رجل الشرطة، ودموعي تعدو على وجنتي:

_أنتم تأخرتم لماذا، لماذا!

علمت بعدها أنه لن ينفعني أحد عليّ الخروج من هنا، لكن إلى أين؟

رحل رجال الشرطة بعد أخذهم لأقوالي، ومنحي وعودهم الواهية بالقبض عليه.

أتذكر حين كانت الحياة أجمل مع وجود أبي وأمي، أبقياني آمنة حتى مرضا، ودخلا في غيبوبة طويلة، لم أستعد يوما لفراقهما ولن أفعل أبدا، أنا أؤمن بأنهما سيصحوان يوما ما.

لم أنم طوال الليل، خوفي من براند الحقير منعني من حتى أن أغمض عينيَّ، أتمنى لو أستطيع النوم في العيادة، فهي تبدو لي أكثر أمانا الآن، وصل الباص الذي يؤدي إلى السجن، القليل جدا يصعدون على متنه، بضع من زملائي في العمل، المحطة التاسعة لا أحد يفضل الوقوف عند هذه المحطة فهي في آخر المدينة في الجزء الذي يحتوي على سجن الخارقون، أدخل من البوابة الكبرى، وألقي التحية على "ميغيل" رجل الأمن العجوز.

أقابل الطبيب إدوارد في غرفة الخزائن نتبادل التحية وأسأله عن حال الزوجة والأطفال، والدتي دوما تفعل هذا تسأل عن حال الجميع، أتمنى من الله أن أعمل في المستشفى التي ترقد فيها هي ووالدي، أحاول رفع بضع خصلات من شعري إلى الوراء، فتفاجئني يدي بآلام مبرحة، أتأوه بألم، ينتبه إليها الطبيب، ويصر على رؤيتها:

_ أرني يدك يا آستر ليس من الصحي أن تبدئي يوما طويلا مع هكذا آلام.

ابتسم له بحرج:

_ إنها لا شيء، أعدك لن تؤثر يدي على عملي.

يعبس وخيبة أمل تعلو وجهه:

_ هل تظنين أنني أهتم للعمل، أنا لست رئيسا قاسيا، تعالي إلى عيادتي قبل الساعة الثامنة.

أومأت برأسي إيجابا.

دخلت عيادته فوجدت ستيل هارت يستلقي على السرير ويداه مكبلتان بالحديد، وعيناه مقفلتان وكأنه في نوم عميق، والطبيب يكتب ملاحظاته على ملفه، أردت الرجوع إلى الخلف والعودة بعد أن ينتهي منه، لكن الطبيب قال دون أن يلتفت

_ أدخلي يا آستر فستيل مخدر، لو أن قودزيلا نفسها داست عليه لن يشعر بها.

جلست أمام الطبيب، ومددت يدي إليه بصعوبة، أرجع كمي الطويل إلى الخلف، وظهرت كدماتي الزرقاء على ذراعي، فزع الطبيب فور رؤيتها فقال سريعا:

_ من فعل بك ذلك.

أحسست بالعار، وبدموعي تتوق للخروج من عينيّ، حاولت الصمود لكن دمعة واحدة نجحت في الوصول إلى وجنتي.

مال إليّ، وسأل باهتمام؟

_ هل أنت بخير؟ يا آستر؟

مسحت دمعتي العنيدة وأجبته بصوت بالكاد يتماسك.

_ نعم أنا بخير، إنه جاري الغبي هو حاول أن...

لم أستطع أن أكمل فأخذت نفسا وابتسمت أدعي القوة

_ لكنني سحقت أنفه، وفرّ هاربا كفأر مذعور.

قال الطبيب متعاطفا:

_ أنا آسف يا آستر، لا أحد يستحق أن يعامل هكذا.

أحسست برغبة قوية في البكاء لكنني تمالكت نفسي، وقلت بصوت حاولت أن أكسبه بعض القوة.

_ هل يمكنك معالجتي، إنها تؤلمني بشدة.

_ بالطبع عزيزتي، أيضا لمَ لا تأخذين اليوم إجازة؟ نامي قليلا، يبدو أنك بحاجة لبعض الراحة.

_ شكرا لك، لكنني أفضل البقاء هنا، كرهت شقتي أكثر بعد يوم أمس.

أجاد الطبيب تضميد يدي، وأعطاني بعض المسكنات من مخزون السجن، تعاطفه معي أشعرني بالانتماء لهذا السجن أكثر من أي مكان آخر، أغرب مبنى قد أشعر بالراحة بداخله سجن الخارقين!

انزلق الباب المعدني ليدخل منه "توماس" قائد فرقة العدالة، وجدها مستلقية على سريرها الذي بالكاد يتسع لها فتجلس فور دخوله عليها،

دار في أنحاء الغرفة الضيقة التي بلغت طولها مترين وعرضها متر واحد، يتصل بها باب صغير يؤدي إلى دورة مياه أصغر، قائلا:

_ كيف يمكنك البقاء هنا، إنها غرفة ضيقة وكأنها جحر فأر.

عقدت يديها أمام صدرها، قائلة وهي تنظر إليه من طرف أنفها:

_أعلم هذا وأنا أريد غرفة أكبر بأثاث أجمل.

انحنى ليحمل الألة الكاتبة وقال بخبث عله أن يخيفها:

_ أنت محقة لنذهب إلى غرفة أكبر بأثاث أكثر عصرية.

أحست آستر بخبثه وشكت فيما يفكر فحاولت أخذ الآلة منه قائلة

_ هل تعلم عزيزي توماس، غيرت رأيي أنا أعشق غرفتي أريد البقاء هنا.

تجاهلها حاملا الآلة في يده اليمنى، ويمسك يدها بيده الأخرى.

سحبها بلا مشقة إلى ممر طويل، تترامى الأبواب عن اليمين وعن الشمال، غرف ذات نوافذ واسعة، بداخلها قطع أثاث جميلة ومنوعة، فالأولى تحمل أثاثا كلاسيكيا سرير كبير بزخارف معقدة، وخشب مذهب تغطيه ملاءات حمراء اللون، والغرفة التالية تملؤها قطع أثاث عصرية، سرير أبيض بأطراف فضية اللون تعلوه ملاءات رمادية ووسائد بيضاء وثيرة، صدقته آستر بحسن نية فبلعت ريقها، وأصبحت تسايره في المشي وقالت بكبرياء.

_ أترك يدي ها أنا أمشي معك، كل ما أريده هو غرفة هادئة تليق بسيدة في مكانتي.

دخلا غرفة واسعة، سرير أسود وثير وكنبات بيضاء مريحة، جلست هي على السرير، واستلقت في أعماقه، لتعانق ملاءاته الدافئة وكأنها ترى صديقة مقربة لم تلتق بها منذ عشرات السنين، قالت بتعالي:

_ شكرا توماس فقد أحببت هذه الغرفة هلا أقفلت الباب وراءك.

قال توماس مستهزئا بها:

_ يا له من موقف محرج فهذه ليست غرفتك، إنها غرفتي.

جلست بخوف على طرف السرير وكأنها كانت تعرف أن في الأمر خدعة ما، حاولت التملص من أمامه وكأنه سيسمح لها بالعبور، لكنه أوقفها بيده التي قبضت على ذراعها وأوقفتها وكأنها جبل قد التصق بها ومنعها من التزحزح بعيدا.

قال وهو يجرها بقسوة من ذراعها إلى باب آخر بداخل الغرفة:

_ هذه هي غرفتك.

ورماها بقسوة بالداخل ثم وضع الآلة الكاتبة بالأسفل.

ألقى عليها نظرة سريعة قبل أن يغلق الباب و يرحل، تركها في سجن أصغر من سجنها الأول "مساحة" متر في متر أشد ظلاما من سابقه، لعنته و هي تتحسس جراحها الجديدة ألقاها بإهمال، وهو صاحب القوى العظمى حتى لو لم يقصد فهو سيؤذيها بأقل مجهود منه، هناك دورات مكثفة ليتعلم أصحاب القوى السيطرة على قواهم منذ نعومة أظافرهم، فهم إن تحمسوا أو غفلوا فقد يقتلوا أقرب الناس إليهم أو حيواناتهم الأليفة، ومعظمهم قتلوا الكثير منها وتوماس كان يقتل حيوان بعد آخر بدون قصد منه، قلبه الصغير كسر عدة مرات حتى امتنع تماما عن متابعة تدريبات التحكم بقواه.

جلس في كرسيه وفتح ثلاث شاشات بزر واحد، كلها أظهرت شخصا واحدًا، آستر جون تغسل يدها في مغسلة الحمام الصغير الذي يفصله باب نحيل عن الخزانة.

ضغط زر آخر ليعلوا صوتها، وهي تقول:

_ عليك اللعنة يا توماس.

أحس بالذنب عندما رأى يدها تنزف دمًا، فرفع جهازه اللاسلكي ونادى بصوت بارد يخفي مشاعره

_ أليكس تعال إلى غرفتي، وأحضر معك عدة الإسعافات الأولية.

دخل شاب ممتلئ بشعر بني قصير، ساخطا

_ ماذا فعلت الآن.

قال توماس، وقد تسرب بعض التوتر في صوته:

_ لا شيء أنا لم أقصد أذيتها.

تجاهله أليكس، ووقف بجوار الباب، وضغط الزر الصغير لينزلق الباب، فيرى آستر تجلس في ركن الغرفة ممسكة بيدها المصابة، تهذي بكلام غير مفهوم.

حملها أليكس ووضعها على سرير توماس وبدأ بمعالجة يدها، وتوماس يراقبه بصمت على الرغم من أنه القائد لكن أليكس وحده الذي يملك القدرة على الصراخ في وجهه، والوقوف ضد أوامره، أنتهى أليكس من معالجة آستر، وجلس على طرف السرير يوجه حديثه إلى توماس.

_ إنها مصابة بالجفاف أنت تعرضها للخطر، ونحن وكل من يسكن الأرض، إذا هي ماتت فلن يسكت لنا ستيل أبدا، هو لن يتوقف حتى يدمر البشرية عن بكرة أبيها، أنت يا توماس لديك مسؤولية كبيرة فآستر ليست كأي فتاة، إنها ورقة رابحة لنا فلا تحولها إلى لعنة، غادر أليكس وأخذ آستر معه.

راقبه توماس وهو يحمل آستر بعيدا عنه مغتاظا مما حدث، متى سيسيطر على غضبه المتأجج عليها.

_ اللعنة.

يجلس بجانبها يقرأ مجلة عن أخبار الطب الحديث، فيما هي تتابع تنفسها الهادئ مستلقية على سريرها، بذراعها حقنة مغذي لتخفف من جفاف جسدها المنهك، تأوهت بوهن، ورفعت يدها السليمة لتتحسس مؤخرة رأسها، قائلة:

_ آه يا رأسي.

تنبه لها أليكس، ووضع كتابه جانبا، قام من مكانه ليقرب إليها طاولة الطعام الصغيرة.

_عليك تناول كل هذا فجسدك ضعيف ويحتاج إلى الكثير من الطعام.

أزالت أغطية الألمنيوم الرقيقة عن الصحون البيضاء لترى ما ستكون وجبتها الليلة، هل ستكون خبز وماء كما يحضرها لها توماس مرتان في اليوم مع ابتسامة شامتة، تنفست الصعداء بسعادة، قائلة:

_ وأخيرا، طعام حقيقي.

قطعة ستيك لحم كبيرة مع صحن بطاطا حلوة، وكأس من عصير البرتقال.

رفعت رأسها مبتسمة لأليكس بامتنان:

_ شكرا أليكس.

تناولت طعامها على عجل خوفا من أن يتدخل توماس، ويحرمها من هذه الوجبة الشهية المشبعة كما يفعل حينما تكون تحت مسؤوليته.

قلق عليها الطبيب أليكس من أن تختنق بتسرعها في بلع لقيماتها، وشعر بالأسى على حالها، فقال لها عله أن ينجح في تهدئتها.

_تمهلي آستر لن يضايقك أحد هنا، فاليوم هو لك وحدك، سأوفر لك إضاءة كاملة، وسرير وثير، وطعام وفير.

توقفت اللقيمات في فمها، تذكرت أنها لن تستطيع البقاء في هذه الغرفة البسيطة سوى يوم واحد، وبعدها ستعود أسيرة توماس، ابتلعت أخر لقمة بصعوبة.

قالت، والألم يخرج مع حروف كلماتها:

_ لمَ أصبح هكذا معي، سيصيبني بالجنون.

وتتالت دمعاتها مع ذكرياتها في هذا السجن المجهول تحبس في خزانة صغيرة، فإن لم تتعاون معه، ينقلها إلى خزانته الخاصة، فتزداد جرعات المضايقة منه، وحين تستفزه يفقد أعصابه ويؤذيها، عندها يتدخل أليكس ليمنحها يوم عطلة واحد، ترتاح به من جنون توماس، قاطع أفكارها أليكس وهو يشد على يدها النحيلة.

_أنا آسف، لم أقصد أن أثير حزنك هكذا.

نظرت هي إليه وابتسامة باهتة ترتسم على محياها.

_ لا يا أليكس، أنت جنتي في جحيمي هذا.

أخذت نفسا عميقا وكأنها بدلت مشاعرها، لتستبدل الكآبة بالحماس، وقالت: أليكس أريد أن أخذ حماما دافئًا لأهدأ، وأريد بيجاما حريرية، وقطعة شوكولا، إنه يوم واحد، وكم أحب أن أستغله قدر ما أستطيع.

سعد أليكس بعودة تفاؤلها، على الرغم من واقعها الحزين، فقال: وقد أعدي بحماستها:

_هذه هي الروح.

وخرج ليحضر كل ما أرادت، ويرتبها لها على الطاولة الكبيرة، بجانب آلة الكتابة القديمة، استعد للخروج من الغرفة الأنيقة، ليتركها تستمتع بما تبقى من يومها، وقف بجانبها ليودعها، قائلا:

_ سأتركك الآن لكن عزيزتي آستر لا تحاولي أن تؤذي نفسك، فأنت مراقبة أربع وعشرين ساعة، وغلطة واحدة ستفسد عليك اليوم بأكمله.

ابتسمت له آستر بامتنان:

_ لا تقلق يا أليكس فأنا أعرف النظام هنا.

خرج أليكس ليمنحها حريتها المحدودة، دخلت إلى الحمام لترى حوض استحمامها الذي تعشقه حوض صغير أبيض، تملأه بالماء الساخن، وتشعل عدة شموع عطرية معظمها برائحة اللافندر المهدئة، تخلع ملابسها الممزقة لتغوص في حمامها الساخن، تغلق عينيها باسترخاء تسترجع ذكريات سعيدة مع الرجل الذي أحبته وعدو جميع دول العالم.

اللحظات النهائية من لقائهما الأخير، لثوانٍ خشيت من أن تنسى، وهل تنسى العاشقة معشوقها هكذا؟ ردت على نفسها وأفكارها المتشائمة. غاصت مرة أخرى في الماء الذي فقد شيء من حرارته، علّها أن توقف دموع متساقطة من عيناها المتعبتان.

ارتدت بجامتها الحريرية السوداء، سرحت شعرها الناعم بفرشاتها العاجية، تأملت وجهها المتعب، وجسدها النحيل، يا ترى لكم من الوقت ستبقى أسيرتهم؟ متى سيأتي ستيل ليأخذها من هنا، فيعيد إليها رفاهيتها التي اعتادت عليها، ماذا يا ترى قد يفعل الآن؟ هل يهدد العالم بأسره خوفا على محبوبته! تتناول قطعة شوكلاه فاخرة، تستلذ بكل جرام منها، تضع فرشاتها على الطاولة أمام المرآة النظيفة لتغير مكان جلوسها، فتجلس أمام آلة الكتابة القديمة تتحسس أزرارها التي صدئت منذ سنوات بأصابعها النحيلة، تعتدل في جلستها، وتبدأ الكتابة.

في ذلك المساء الهادئ أجلس على الصوفا القديمة في صالتي الضيقة، أتدثر بعدة طبقات من الملاءات الصوفية المهترئة علّها تدفئ جسدي، كنت على الرغم من غوصي تحت ملاءاتي أشعر بالبرودة تهتك عظامي بلا رحمة، تعطلت المدفئة القديمة مرة أخرى، وصاحب المبنى لا يجيب على اتصالاتي، أتابع مسلسلي المفضل القديم (الانتقام) الأحداث المتفاعلة تشغل تفكيري عن مدى برودة أطرافي، يرن الهاتف برنات متقطعة تعبر عن خلل فيه هو الآخر، لعله مالك المبنى سيرسل أحدا ليصح لي المدفئة، لكنه لم يتصل بي إلا ليقبض ثمن الإيجار، أوه من "سامي" الرجل الطويل الجشع، أقوم من مكاني سريعا لأختطف الهاتف، وأعود إلى مجلسي بنفس سرعتي بئسا قد فقدت الكثير من دفئي، أضغط زر الإجابة بسرعة كي لا يقفل الهاتف.

_ مرحبا.

يجيب صوتا متزنا من الجهة الأخرى للهاتف

_ مرحبا هل أنت الانسة آستر جون.

أجيبه مستعجلة

_ نعم إنها أنا.

_ أنا أسف لأخبرك بهذا الخبر لكن قريبتك هولي جون توفت، وقد كتبت وصيتها وهي تتضمنك، في الحقيقة أنت الوحيدة التي تضمنتها وصيتها.

اعتصرت عقلي محاولة أن أتذكر تلك القريبة لكنني لم أسمع بها يوما، بل أن والداي كانا يتيمين وحيدين تنقلا عبر دور الرعاية والمنازل المختلفة، حتى بلغا الثامنة عشرة من عمريهما، ودرسا بصبر وعزيمة ثم تزوجا، من الغريب أن أرث مالا من أحد ربما كانت غلطة أحدهم، لكنني لن أرفض ما قد سيق إلي من رزق.

أجيبه وكلي أمل بمبلغ مالي يتكفل بشراء مدفئة صغيرة لي.

_ ومتى يمكننا قراءة الوصية.

أجاب هو سريعا:

_ الأن لو أردت.

أجبته بلهفة

_ نعم نعم، أين أقابلك؟

قال، وكأنه يبتسم من ردة فعلي:

_ أنا بالأسفل أنتظرك في سيارة مرسيدس حمراء.

اندهشت من سرعة ما يحدث بهذه البساطة، أستلم ورثي وكأنه حلم من خيال وصل بوقته.

_سألته هل أحضر شيء معي أوراق رسمية؟

_ بطاقتك الشخصية تكفي.

_ حسنا سأنزل في ثوانٍ.

خرجت من مخبأي وارتديت معطفي الجينز ذا الموضة القديمة، وأخذت مفاتيحي ومحفظتي الصغيرة، وخرجت وأنا أنفخ الهواء الدافئ في كفي الباردتين، كانت ثوان حتى دخلت سيارة المحامي، كان يبدو في مستهل الأربعينات، ترى آثار الثراء في محيا وجهه الهادئ وثيابه الفاخرة، أحببت رائحة سيارته العطرة ودفئها الآمن، ابتسمت له ومددت يدي.

_ أنا آستر جون.

صافحني وهو يقول بابتسامة واسعة.

_ ماثيو رولاند.

أخرجت له بطاقتي وسألته؟

_ متى يمكنني أن استلم المال.

أحسست بسخافتي حين خرجت كلماتي من فمي، تلك السيدة قد ماتت للتو، وها أنا أستعجل مالها.

قلت باستحياء

_ أعتذر فقد نسيت أخلاقي، لكنني أكاد أتجمد في شقتي وكنت أمل بشراء مدفئة صغيرة.

أبدى لي السيد رولاند تعاطفه معي بابتسامة حانية، وقال:

_ لا يمكنني أن ألومك فدرجات الحرارة تتناقص سريعا، لكنني لا أظن بأنك ستحتاجين إلى مدفئة، فقد ورثت شقة بأكملها في أرقى أحياء نيويورك، يمكنك استلامها اليوم إذا أردت ذلك، سآخذك إليها لأسلمك إياها قانونيا.

لم أستوعب كلمة مما قاله هل سأترك هذا الحي المخيف، كنت أُمني نفسي في اليوم الأول الذي انتقلت فيه إلى هنا بأنني سأعتاد الحي في بضعة أسابيع، لكن عدة سنوات قد مرت وها أنا لم أرتح أنام مساء نصف مستيقظة، وأتفقد قفل الباب عشرون مرة في اليوم.

يقاطع تفكيري المحامي.

_ إذا أردت إحضار ملابسك وحاجياتك سأنتظرك هنا.

أجيبه بسرعه خوفا من أن يغير رأيه

_ نعم بالطبع سأعود سريعا.

obeikan.com

خرجت من سيارته مهرولة إلى شقتي لم أمتلك حقيبة سفر أو حتى حقيبة كبيرة فوضعت جميع ممتلكاتي في كيس قمامة واحد، معظمها ألبومات الصور لي ولعائلتي، أما الثياب لم تكن سوى كومة ضئيلة، عدت إلى سيارة المحامي الذي كان منشغل بمكالمة هاتفية وضعت الكيس في المقعد الخلفي ثم جلست بجانب المحامي الذي كان منشغلا بهاتفه.

_ نعم ستستلمها اليوم، سأفعل بالتأكيد إلى اللقاء.

ثم أدار وجهه إلي بابتسامة عريضة.

_ هلا ذهبنا.

أجبته وكلي حماسة:

_ نعم بالتأكيد.

تحدث عن روعة الشقة، وأن لها ذلك المطل المذهل على نهر الهدسون، غفوت على كلماته التي بدت لي كصدى يتردد من بعيد، صحوت على صوت السيد رولاند

_ أنسة آستر وصلنا إلى شقتك.

أوقف سيارته بداخل مواقف سيارات واسع كان يقع تحت المبنى الكبير الذي يعلونا، أدرت نظري حولنا فبدا لي وكأنه معرضا لأفخر أنواع السيارات الرياضية، لامبورجيني، بي إم دبليو، بوقاتي...

تذكرتها كلها بسبب والدي، يملك حبا عظيما لهذا النوع من السيارات، علمني أسمائها قبل حروفي الهجائية، وكان دائما ما يعدني بشراء واحدة لنتنزه بها في الطرق السريعة كعائلة... عائلة سعيدة.

_ هذا هو الموقف الخاص بشقتك.

كان ذلك ليكون مثاليا لو كنت أمتلك واحدة، خرجنا من سيارته، وعبرنا على الرصيف بخطوات سريعة، أمرر أصابعي بخفة على كل سيارة فارهة، أمر بجانبها علي أن ألتقط شيئا من حظها، يتوقف أمام مصعد ذو أبواب فضية من أصل ثلاثة مصاعد، تحت أرجلنا طبقة سميكة من الرخام المتموج ما بين الأسود والرمادي، وفوق رؤوسنا زخارف هندسية عصرية نحتت من الجبس الأبيض.

دلفنا إلى المصعد فور انفلاج أبوابه، يضغط على الزر الذي يحمل الرقم عشرة، يتوقف المصعد لنخرج منه إلى ممر فاخر فرش بسجاد إيراني أزرق نقش باللون الذهبي نقوش دائرية ملفتة.

جدرانها زينت بإضاءة هادئة، قممها تشبه المظلات الصغيرة بلون رمال الصحاري، أوه يا آستر لو كان هذا الممر منزلك لرضيتي به، فما الذي سينتظرنا بالداخل! رصت على الممرات ستة أبواب، ثلاثة تقابل ثلاثة أبوب بنية، صنعت من خشب

السنديان، ناولني هو مفتاحا فضي اللون وأشار إلى الباب الذي يحمل الرقم٥ ج، أخذت المفتاح منه بأصابع متلهفة، فتحت باب شقتي الجديدة، منزلي المستقل، امتلكه أنا وحدي بالكامل، أعيد الفكرة في رأسي مرارا وتكرارا خشية أن يكون حلما جميلا!

عبرنا الباب الرئيسي المؤدي للشقة الفارهة، ومن ثم بدا لي المدخل البسيط ذو المرآة الطويلة التي بجانبها ثلاثة أعقفة خشبية لتعليق المعاطف والحقائب والقبعات، إن امتلكت واحدة، وهذا ما أنويه سأشتري قبعة فرنسية جميلة أرجوانية وسأعلقها هنا، تبعته إلى الصالة حيث يقبع طقم من الأرائك العصرية التي اكتست اللون الأبيض يحيطه من جهتين جداران من الزجاج ليكشف لنا عن مطل مذهل على نهر الهيدسون.

اقترب السيد رولاند من الحائط الزجاجي متأملا السحب المثقلة بالأمطار، ثم يقول:

_ يبدو أنها ستمطر الليلة، اقتربي وتأملي هذا المنظر الخلاب.

كنت منبهرة من جمال ورفاهية الشقة، لكنني مرتعبة من العلو الشاهق التي تقبع بها، فقدماي قد شلت في المكان الذي يؤمن عقلي بأنه آمن لي، وقفت على طرف السجادة عجزت أن أدوسها خوفا ورهبة، قلت له بصوت محرج خافت:

_ لا أستطيع، فأنا أكره المرتفعات.

تعجب السيد رولاند من جملتي، فقال في انبهار رافعا كلا حاجبيه إلى الأعلى:

_ يا لها من صدفة سيئة فأنت تمتلكين مطلا رائعا هنا، لكن لحسن الحظ يوجد حلا لهذه المشكلة الصغيرة.

أقترب مني وأشار إلى الجدار خلفي.

_هنا توجد شاشة ذكية لتتحكمي بكامل المكان، سأسدل جميع الستائر في الشقة حتى تشعري بالراحة في منزلك الجديد، وفي وقت قصير لن تتذكري بأنك في هذا العلو.

شكرته بامتنان فبالفعل شعرت بالراحة الفورية حين أُسدلت الستائر حولنا.

وضع ملف أزرق فوق طاولة القهوة الزجاجية، وأشار لي على عدة أماكن علي التوقيع عليها لأمتلك الشقة رسميا، وقعت و أنا أسرح في خيالي، وأخيرا مكان دافئ كم أتوق للنوم الآن، وربما حمام ساخن يعوض عني عدد المرات التي لامست المياه المتجمدة جسدي، أخذ السيد نسخة من الأوراق الموقعة وناولني النسخة الخاصة بي، وتمنى لي ليلة هانئة ثم غادر، أقفلت الباب خلفه بالمفتاح عدة مرات، عاداتي الحذرة لا تزال تلازمني، عدت إلى الكيس الأسود الذي يحتوي جميع ممتلكاتي، أخرجت ألبومات الصور وأنا أجلس على الأرضية الخشبية، هاهي ذكرياتي القديمة مع والداي حيث كنت آمنة تماما، لم يكن منزلنا بنفس مستوى هذه الشقة لكنه كان مليء بالضحكات السعيدة، والوجبات العائلية الدافئة، على الرغم من الراحة التي

أحسست بها إلا أن دموعي سالت ببطء على وجنتي، لم أستطع كتمان حزني الآن، ليس بعد أن زال قلقي عن كيفية إبقاء جسدي دافئا وآمنا، بكيت وبكيت حتى استلقيت بجانب صوري وذكرياتي السعيدة وغبت في نوم عميق.

استيقظت على غير عادتها، على أرضيةٍ خشبيةٍ مغمورةٍ بالدفء، نظرت إلى السقف الأبيض الخالي من الشوائب والأغبرة، ابتسمت بسعادة ثم تمغطت لتشد كل عضلة في جسدها النحيل.

صعدت إلى الدور الثاني من الشقة حيث تقبع ثلاث غرف نوم واسعة، اختارت أكبرها التي توسطها سرير خشبي كبير عليه عدة طبقات من أغطية الحرير، والقطن، والصوف التي تنوعت في ألوانها ما بين الزرقاء والبيضاء والكُحلية، بدا لها النوم هنا مثاليا، واتجهت إلى الحمام الذي فصل بينه وبين غرفة نومها ألواحا زجاجية ضبابية، ليس لديها الوقت لتتجول في الأنحاء لتتأمل حسن ورفاهية منزلها الحديث، عليها أن تأخذ حماما ساخن لتستعد لعملها، وتزيل كل ما قد التصق بها من شقتها القديمة بالمياه الساخنة، ارتدت أجدد ما لديها بنطال جينز سماوي اللون، وقميص قرمزي وارتدت معطفها القديم، نظرت طويلا في المرآة الطويلة و قررت أن المعطف لا يضيف جمالية إلى مظهرها كما أنها أُحرجت من مظهره الرث فخلعته وطبقته تحت يدها، ستلبسه فور خروجها من المبنى حالما تبتعد عن عالم الأثرياء المتأنقون هنا.

بعد الساعة العاشرة صباحا..

أخرج كيس الطعام الورقي الخاص بي من الثلاجة البيضاء الشاحبة التي تقبع بجانب باب المطبخ الصغير، حيث يسمح لنا بصنع القهوة والشاي وحفظ أطعمتنا التي نحضرها من منازلنا، وربما إعادة تسخينها في ميكروويف صغير قديم، يرقد على سطح دواليب المطبخ الرخامي، بجانبه علبة معدنية خضراء، تحمل أنواع مختلفة من الشاي والقهوة، وعلبة خزفية صفراء تتخذ شكلًا أسطوانيا تحفظ لنا في بطنها السكر، كان مطبخا عمليا بحجم خمسة أمتار في أربعة، تتوسطه طاولة دائرية تدس في جانبيها أربع كراسي خشبية، لعلها عادة سيئة الآن، لكن والدتي لم تكن تستأمن طعام الكافتيريا علي منذ صغري، ربما علي يوما ما ترك هذه العادة السخيفة، وتجربة ما يأكله بقية الموظفون هنا.

اختار الجلوس على مائدة خالية بعيدا عن مصدر الطعام هنا، كافتيريا صغيرة يعمل بها السيد "أوغست" وبالتالي بعيدا عن أفراد مجتمع السجن، صالة الطعام واسعة، تحمل أربع موائد خشبية، كل منها يحوم حولها مقعدان خشبيان طويلان، لهما القدرة على أن يحملان على الأرجح ستة أشخاص، أجلس في الزاوية بعيدا عن الأحاديث الجانبية، وبالتأكيد عن العسكري "بين" لم أعرف لمَ، لكنني لم أرتح له بكل مرة ألقاه ملامحه تبدو أكثر لؤما، ليس واضحا للعيان، لكنه إحساس بحجم حبة العدس في ثنايا قلبي، لست اجتماعية بطبعي لكن ملامحي وتعابير وجهي تدعو الآخرين للجلوس معي أو حولي، أولا تجلس بجانبي "كارين" تعشق الحديث عن الآخرين حتى أنها لا تلقي التحية بل تفشي الأسرار فور ارتطام طعامها بالطاولة، انهيت طعامي على مهل بينما استمع لحديث كارين عن الجميع، يخيل للمرء أنها تحرق سعراتها جميعها بالكلام فقط.

_ اليوم سنتناول الكيك بمناسبة تقاعد العجوز "روبنسون"، سمعت بأن زوجته مريضة لهذا طلب التقاعد مبكرا.

ثم تأخذ نفسا عميقا، وهي تزيح شعرها الأشقر عن عينها لتتناول لقمة صغيرة من وجبتها المعتادة سلطة "سيزر دجاج"، اعتدت ثرثرتها الغريبة حتى أني أصبحت أجدها مهدئة للمزاج في غالب الوقت، وأكثر ما أحبه فيها صحبتها المسلية، التي قد أحتاج بعدها إلى حبة إسبرين، تكمل بعد أن تبلع لقمتها:

_ لا أعلم من المسكين الذي سيعمل هنا لعشرون سنة، فعمال النظافة لا يتاح لهم النقل كبقية الموظفين، فهم ليسوا إلا أصحاب شهادات دنيا.

ذكرتني بوالدي المنومان في المشفى، فلهما فقط دخلت هذا المجال، وإلى الآن لم يمنحني المدير الوقت لتقديمي لمعاملات النقل، أكره تجاهله لي باستمرار، أسرح في أفكاري بعيدا عنها، وعن صوتها، لكنها ما تزال تتحدث بكلام لم أعد أفقه منه شيئا، كم أشعر بالذنب لأنني بعيدة عنهما، يقطع تفكيري غناء مفعم بالمرح للعجوز روبنسون إذن بالفعل إنه اليوم الأخير له، يجتمع الجميع حوله ليهنئه بأيام التقاعد الهادئة التي سيحظى بها، ويودعونه في نفس الوقت، لم أعرفه حق المعرفة، لذا فضلت البقاء مكاني ومراقبة احتفالهم القصير من بعيد، تقدم إلي العسكري بين بخطوات سريعة وهو يحمل صحنين بهما قطعتين من الكيك المزين بالكريمة البيضاء.

وضعها أمامي بابتسامة واسعة، قائلا:

_أحضرت نصيبك كي لا يفوتك الكيك اللذيذ.

ثم يهمس لي بمرح:

_ فهم وحوش مفترسة عند الحلويات.

شكرته بأدب وتناولت قطعة من الكيك الطري بالشوكة البلاستيكية.

جلس بجانبي وهو يستجمع شجاعته لقول شيء ما، أستطيع أن أرى هذا في عينيه المتوترتين، رباه لا تجعله يدعوني إلى العشاء...

قال بصوت مرتبك وهو يحملق في صحنه:

_ أود أن آخذك يوم الخميس إلى العشاء، مطعم إيطالي جديد.

كنت أعلم بأنه سيفعلها، كيف سأرفض! بالفعل أنا لا أود الخروج معه، بل أنني لا أطيق حتى الجلوس بجانبه، إنه مريب لا أرتاح له، سأخبره بأنني مرتبطة نعم مخطوبة، هكذا أفضل، عذر قوي لن يرفضه، وسيدفعه بعيدا عني

بلعت ريقي لأستجمع شجاعتي أنا الأخرى، وأقول:

_ اعتذر سيد بين، لكنني مخطوبة، ولا أظن بأن خطيبي سيرضى بهذا الموعد.

نظر بحدة إلى يدي اليمنى وقال عاقدا حاجبيه:

_ لكنني لا أرى خاتما.

يا للإصرار المخيف، لكني لحسن الحظ تذكرت أمر القوانين هنا.

قلت وأنا أخفي يدي بداخل جيب بنطالي الأبيض،

_إنهم لا يسمحون لنا بإبقاء مجوهراتنا.

عيناه البنيتان تسلل لها شيئا من الاحمرار، الدماء الهائجة تدفقت إليها ليصير وجهه لا يطاق النظر إليه، نظراته الغاضبة تتهمني بالكذب، أسنانه بدت وكأنها تصتك ببعضها.

_ حقا.

غادر غاضبا حتى أنه ترك صحنه بجانب صحني، أفقدني شهيتي بتحقيقه غير المهذب لكنني مرتاحة بأن موضوعي معه قد انتهى.

صباح اليوم الثاني قمت بكسل، فكم أرغب بالاختفاء عن وجه بين اليوم، أتمنى حقا ألا يكون مسؤولا عن ستيل هارت فالحارسان الآخران الكارهان لي يبدوان أكثر لطفا مقارنة بنظرات بين.

لكنني سأرى ستيل في المقابل، قضية نصف الكأس المملوء هذا ما علي الإيمان به، ما هذه الحرارة في وجنتاي هل تتورد بهذه السرعة، إنها تفضحني كل مرة أفكر فيه، أو أقابله فيها، أو لعله يعتقد أنها طبيعتها، أتمنى حقا ألا يلاحظها.

لا وقت أضيعه تأخري في عملي لن ينقذني من المواقف المحرجة،

سأغتسل سريعا وأخرج من هنا.

أقطع بهو المبنى الراقي بخطواتي السريعة، أمر من بين الأثرياء المتباطئون لعلهم ورثوا ثروتهم كوضعي، لكن ربما أبكر، فهناك نوعا آخر منهم، حاسم في خطواته حازم في نظراته، إنه النوع العصامي الذي يعرف معنى أن تكون محتاجا، أو لعلهم يشعرون بالأمان الذي عشت بدونه فاعتادوا عليه، أم أنا التي تستعجل كل خطوة في حياتها، متجاهلة زقزقة العصافير وتفتح أزهار الربيع وكأنهما مجرد حدثان أهملهما ولا أتمتع بهما فيما غيري قد يتغنى بأشعاره عنها وينسج قصص العشق حولها.

أشتري من المحل القريب من شقتي قهوة بالحليب وقطعة متوسطة من الكوروسان المحشي بالجبنة، لأتناولها في الطريق الطويل الممل إلى السجن.

ألقي التحية كعادتي على حارس البوابة السيد ميغيل، الكهل الطيب ذو الأصل اللاتيني، ويعيدها لي بابتسامة مطمئنة، يسمح لي بالمرور فور رؤيته لأوراقي الرسمية.

أدخل المبني بخطوات متباطئة، المدخل واسع تنصفه بوابة متوسطة الحجم حديدية ذات نوافذ زجاجية كبيرة، تفتح فقط من الداخل أو بمفتاح خاص لا يملكه إلا ثلاثة أو أربعة حراس.

أحاول اقتناص بين لأتجنبه قدر المستطاع.

لكني أفاجأ به يقف في الداخل يتكئ على المكتب الصغير الأسود، وقسمات وجهه تعلن نيته العارمة في الانتقام، ابتسامة خبيثة تزين شفتيه، عينان ماكرتان ترمقني بخسة، وعود أسنان خشبي يداعب فمه بحرية، هذه المعلومات تكفي لأحزر فيما يفكر فيه، وضعت يدي لا إراديا داخل جيب سترتي البيضاء، عدلت من حقيبة يدي في محاولة مني لأخفي ارتباكي، وسألته من خارج البوابة.

_ أين ربيكا؟

ضغط على زر أحمر على الجدار فيما ابتسامته تتسع حتى ظننت بأنه سينفعل ضاحكا.

_ أنا متعب قليلا لذا اقترحت على المدير أن نتبادل الأماكن.

ناولته حقيبتي باستسلام أخذها ونظرة الانتصار ترتسم على شفتيه، فأحسست بأنه رجل مريض، اللؤم والحماقة علته، فتح سحابها الوحيد، وقلبها رأسا على عقب راميا بمحتويات حقيبتي على الأرض، قائلا:

_عذرا فأغراضك مخالفة للأنظمة والقوانين.

مفاتيحي، هاتفي، مرطب شفاهي، وأقلامي، ودفتر ملاحظاتي الذي لم أستخدمه يوما، والكثير من أغراضي التي أشعر بقربها بالأمان، قد يبدو هذا سخيفا لكنه إحساسي وبالكاد يكفيني، الإهانة والعجز معا تحتويني بلا استحياء وكأنهما اعتادتا جسدي وكأني حق من حقوقهما.

رفعت صوتي علّه يخشى عواقب فعلته ويتراجع عن حماقته

_ أنت تعتدي على حقوقي سأرفع شكوى ضدك.

قال ببرود، وهو ينظر إلى الكاميرات الثلاث المعلقة في زوايا الصالة:

_ ومن سيصدقك جرذ لئيم قد قطع أسلاك كاميرات المراقبة.

فقدت السيطرة على ثبات يدي المرتعشة، وكأن البرد ينهشني لكنه الغضب يستنفر كل أوصالي، وأحسست بضعفي وأنا أقول:

_أنت كاذب.

ثم يقاطعني هو ويمد يداه إلى كتفيَّ.

_ علي أن أفتشك كي أتأكد بأنك لا تهربين لأحد شيئا، الحارس سوير قال شيئا عن احتمال نشوء علاقة بينك وبين أحد السجناء.

تراجعت إلى الوراء لحماية نفسي منه معترضة عليه، إنه لمن المخزي أن تحمل كل ذلك المقدار من الغضب دون أن تمتلك القوة للدفاع عن شرفك، حقوقك، كرامتك.

_ أحظر ربيكا إلى هنا لن أقبل بغيرها.

قال بلهجة ناعمة وابتسامة خبيثة

_ ربيكا لديها يوم حافل وإن لم أفتشك اليوم سأكتب تقريرا عنك، وسيتم فصلك خلال ساعات قليلة.

لا لا يمكن أن أفصل أنا بحاجة لهذه الوظيفة، من سيُعينني في مشفاه بعد أن أُفصل من هنا، حتى القانون سيسحب شهادتي اعتراضا على تصرفاتي، سيبدو لهم بأنني عنيدة ومهملة.

سمعت صوت أحدهم من خلفي يقول بحزم.

_ أكتب ما تشاء لكنك لن تلمس هذه الآنسة.

ألتفت خلفي ووجدته يحمل ملفا صغيرا يرتدي قميص أخضر عشبي، وبنطال جينز أسود، وحذاء رياضي أسود، تعجبت منه فلا يبدو أنه يعمل هنا من هيئته بل يظهر لي وكأنه زائر.

هاج بين غاضبا فَعلا صوته واحمرت عيناه.

_ كيف دخلت إلى هنا، هذه منطقة محظورة.

قال الشاب الأشقر وهو يركز عيناه الزرقاوان بإصرار على بين:

_ أنا أعمل هنا.

قلق بين صار واضحا حتى لأبله مثله، فانتابني قبس من الراحة أخيرا، هدأت نفسي، استرخى كتفاي المتشنجان بسبب الموقف الذي وجدته متأزما.

عبر من الباب المفتوح دون أخذ الأذن من بين وهو يبتسم لي:

_ إنه اليوم الأول.

ثم وضع ملفه على الطاولة الصغيرة بجانب الباب، وجلس يلملم أغراضي ويعيدها داخل حقيبتي، دون أن يعترض بين و قال ممازحا:

_ ما أكثرها من مستلزمات.

انتزعني من حالة الشلل التي أصابتني

فجلست بجواره أعاونه، هدأت يداي وصارت ترتجف بدلا من الارتعاش العنيف الذي أصابها، قال هو لي بملامح جادة:

_ لا تسمحي له بأن يستغلك فالقانون في صفك.

ثم نظر إلى بين بحدة متحديا غروره وحماقته.

_ يمكنك أن ترفعي شكوى اليوم وسأكون شاهدا معك.

إمتقع وجه بين واستشاط غضبا يدعي الشجاعة للحظة:

_ هل تظن بأنك تخيفني؟ أفعل ما شئت.

لدقيقة فقط وقف أمامنا ثم ولى هاربا إلى داخل المبنى تاركا صالة المراقبة خالية على الرغم من أن القوانين تمنع تصرفه، سيوقعه ذلك في الكثير من المتاعب كما أتمنى.

ابتسمت للشاب المنقذ وقلت بامتنان:

_شكرا لك، لو لم تأتي لكنت رحلت من هنا فأنا لا أطيق أمثاله.

قال وهو يغمز لي بعينه اليسرى التي تعلوها ندبة صغيرة تنصف حاجبه:

_ أعتبر نفسي شابا محظوظا إذن.

جال بصره في المكان.

_ هلّا أرشدتني إلى مكتب مدير السجن.

ابتسم بحرج وهو يرفع ملفه

_ فأنا سيء في قراءة التوجيهات.

رفعت كتفاي بحيرة، وسألته:

_ هل من القانوني أن ندخل؟ أعني أن الحارس ليس موجودا.

قال وهو يتجاوزني إلى الداخل:

_ الباب فتح لنا من الحارس، وليس ذنبنا أنه تهرب من عمله.

ثم هز كتفاه بلا مبالاة، وهو يتطلع إلى الممرات المتشعبة أمامنا.

في الحقيقة أوافقه الرأي فعملي يأخذ الكثير من الوقت، وإن كنت سأنتظر الخسيس بين سأكون مجرد ساذجة، عليه هو أن يتحمل تبعات أخطائه.

ابتسمت للشاب بمودة، وقلت له:

_ هيا بنا إذن.

تبعني يحمل ملفه في يده اليسرى، وقدمت نفسي إليه وأنا أمد يدي مصافحة:

_ آستر جون.

_ كونر مكفاي.

صافحني بقوة آلمت يدي فمازحته.

_ هل تريد كسرها؟

توتر ببراءة وهو يسحبها سريعا.

_ أوه لم أقصد أفعل هذا عندما أتوتر.

(أوه يا آستر الحمقاء، لما تحرجين الشاب الرائع الذي أنقذك للتو)

حاولت أن أنقذ الموقف قلت وأنا أدلك يدي بيدي الأخرى.

_ لا تهتم، هذا دليل على قوة الشخصية، عليك أن تكون فخورا.

واصلنا المشي بصمت، قطعنا الممرات الطويلة، صعدنا الدرجات العديدة، حتى وقفنا أمام باب المدير، فأشرت عليه:

obeikan.com

_ هنا محطتك مكتب مدير سجن الخارقين ١٢ رالف هانس، أما أنا سأعود إلى غرفة الخزائن.

شكرني بأدب، ودخل إلى غرفة المدير بعد أن طرق الباب ثلاثا.

غادرت فورا إلى خزانتي الصغيرة، أخذت ما أحتاج إليه بعجل، وركضت إلى عيادتي، لعل السجناء في حالة تذمر بسبب تأخري، دخلت إلى عيادتي فوجدت سجينا ينتظرني والحارسان يتحدثان بصوت خافت وهما يتبادلان النظرات فيما بينهما وإلي خارج غرفة الكشف، أحدهما الحارس سوير إنه من أصحاب الرياح يسير حيث تسير، فإن عابوا أحدهم عاب معهم و صار أشدهم سبا، وإن مدحوا مدح حتى صار أحسنهم ثناءً، إنه بلا شخصية يوافق الجميع بلا رأي يخصه، لكنه لا يهم هو كذبابة وحيدة مزعج لكن لا يضر.

أحسست بطاقاتهما السلبية اتجاهي، فعرفت أنهما يتحدثان بالسوء عني، نظرات البغض لا يمكن أن أخطئ تأويلها، تأثيرها السيء يصل إلى قلبي فيؤذيني، دخلت إلى مكتبي دون أن ألقي التحية و بدأت عملي، كان يوما مزدحما فالطبيب إدوارد أيضا متأخرا هذا الصباح، ربما لن يأتي فقد سمعت منه أنه اقترب موعد ولادة زوجته "إليزابيث" كان شارد الذهن في اليومين الأخيرين، بالتأكيد سيتم تقاسم العمل بيني وبين كارين، فعلا في خلال بضع ساعات وصلنا الخبر أن الطبيب إدوارد قد أصبح أبا للمرة الثالثة، من الجيد أنه تمت ولادة زوجته بسلام، فقد كان يخشى تبعات ضغطها المرتفع مؤخرا، أظن ما سيحدث الآن أنه ستلغى فترة الغداء، و ربما إذا اضطررنا سنعمل طوال المساء، فمسألة تأجيل الحقن الخضراء ليست بالأمر المقبول أبدا، مرت الساعات ببطء مهول، السجناء يتلكؤون في خطواتهم ويتذمرون من فترات الانتظار الطويلة، والحراس صاروا أكثر عنفا، وقسوة، وأنا منهكة وجائعة.

الساعة الحادية عشرة مساء...

تنتهي كارين من عملها فتغادر وتشير إلي تودعني وأنا لم يبقى لي سوى ستيل يدخل بثقة كعادته، يجلس على السرير ويتفقدني بعينيه السوداوين:

_ هل أنت بخير؟

لعله لمح آثار يومي الطويل ينعكس على وجهي، أجبته وأنا أجهز الحقنة الخضراء.

_ فقط متعبة.

_ فقط لو كنت أملك القدرة على تسهيل عملك لك.

ابتسمت له عن طيب خاطر فأنا أصدق كلماته، لطالما كان ذو لهجة لطيفة، ليس مع الجميع لكن معي هو دائما بأفضل مزاجاته، أعقم بقعة صغيرة على كتفه أحسست بحرارة جسده، فسألته:

_ هل أصابتك الحمى أنت ساخن.

_ إن كان هذا يعني المزيد من الوقت معك، فنعم.

لا يبدو مريضا فوجهه يشع صحة، لكن علي أن أتبع الإجراءات اللازمة.

_ فقط خافض حرارة ومضاد حيوي سيفي بالغرض، وبعدها يمكننا حقنك بالسائل الأخضر.

وضعت له الأقراص في يده وناولته كوب ماء.

_كيف وجدت مسكنك الجديد.

جلست أنا على الكرسي الخاص بي متعجبة منه!

_ وما أدراك عنه؟

_ الممرضة كارين رأتك تخرجين من مبنى فاخر، كانت تتحدث مع أحد الحراس، رجلا ذو شعر أحمر.

_ حقا؟ كنت أعلم بأنهما مهتمان ببعضهما منذ أن رأيتهما.

قال وهو يغمز لي بعينه اليمنى هامسا:

_ عصفورا حب غيرنا في هذا السجن إذن.

أعلم بأن وجهي بدا يحمر بسرعة، أشعر بحرارة وجنتيّ، وخجل عارم يُغلفني، علي أن أغير الموضوع نظرت إلى ساعتي، بقيت عشرة دقائق حتى يحين موعد حقنته و يغادر، أتذكر شقتي نعم إنه موضوع جيد بعيدا عن الحب، فقط أبواب وحيطان وأثاث لا حب ولا هوى بينهم.

_ الشقة أحببتها، إنها حتى أجمل من مجلات الديكور، والأهم أني شعرت بالأمان للمرة الأولى منذ سنين.

توهج وجهه بالسعادة أنفرج فمه باسما، حتى ظهرت أسنانه كصفا لؤلؤ مصفوف، وعيناه تلمعان بحماس، أعلم بحق بأني أحببت منظره هذا، لكنني ارتبت في أمره فاقتربت منه بحذر، وهمست:

_ هل لك يد في الموضوع؟

وقف أمامي منتصب الظهر رافعا ذقنه إلى الأمام، وكأنه انتصر للتو في معركة عنيدة، واعترف بفخر:

_ لم أرتح حينما رأيت الحي الذي تسكنين فيه، أنت تستحقين الأفضل والأثمن والأرقى.

ذهلت من حديثه فابتعدت عنه درت حول نفسي وأخذت نفسا عميقا لأهدأ، عدت إليه أهمس بغضب:

_ هل جننت ماذا لو اكتشف أحدهم الأمر؟ سأتهم بالخيانة!

يحاول تهدئتي بكلماته المرتبكة:

_لن يعلم أحد أعدك كما ...

أثار جنوني فقلت بصوت ساخط:

_كما أنك أرسلت من يُراقبني.

باغتني باقترابه مني وأمسك يداي بإصرار، ونظراته تتركز على عيني يحاول جاهدا أن يقنعني، بدا خائفا من أن يخسرني، أوه يا ستيل السخيف أنا لم أكن لك حتى لتخسرني!

_ لا لا، أنا فقط عينت لك حارس شخصيا لحمايتك، فبعد تلك الحادثة أرهقني التفكير، لم أحتمل فكرة أن يؤذيك أحد، لم أنم ولم آكل حتى.

هذا يعني بأنه لم يكن نائما كما قال الطبيب إدوارد، بل كان يمثل دون أن نعلم.

_ لا أصدق بأنك سمعت ما قلته في عيادة الطبيب، هل هو جاسوسك إذن.

علا صوته أكثر

_ لا، أقسم آستر لم أرغب في إغضابك هكذا فقط حاولت حمايتك، أنت تعنين الكثير لي.

لا إنه يفسد الوضع أكثر، سيشكك بي الحراس أكثر، ألا تكفيني نظراتهم وهمساتهم بسبب إطراءاته الغزيرة والآن هذا، علي أن أتخلص منه.

_ماذا تفعل، أترك يدي.

عندها لاحظ الحارسان ماذا يحدث دخلا سريعا ودفعاه بعيدا عني، ثم وجها إليه أسلحتهما، يصرخان بانفعال مهددان

_ استلقي على الأرض الآن وإلا سنفرغ الرصاص على رأسك.

تراجعت أنا إلى الخلف وستيل لا تفارقني نظراته وهو يستلقي على الأرض ببطء، حتى أصبح وجهه مقابلا لأرضية غرف العيادة وجبينه ملاصقا بها.

قيده الحارس سوير بعنف ثم أجبره على الوقوف بعيدا عني.

قال لي الحارس الآخر

_ هل أنت بخير؟

أجبته وأنا أدير ظهري لهما ومحاولة أن أستعيد هدوئي بترتيب أوراق مبعثرة على مكتبي.

_ نعم أنا بخير، هو لم يؤذني.

سوير يلقي نظرات الاتهام المستفزة علي، وهو يجبر ستيل على الوقوف أمامه.

_ هل انتهيت منه لنأخذه بعيدا عن هنا؟

أعلم ماذا يقصد إنه يسخر مني، وكأنه يعلم ما المشاعر التي قد اكنها لستيل، رغم أنني من المستحيل أن أتصرف بناء عليها، مشاعرنا ليست بأيدينا لكننا نتحمل تبعات أفعالنا.

أجهز الحقنة الخضراء، وأرد عليه بصوت حاولت أن أكسبه بعض القوة عبثا.

_ لا، سأحقنه بهذه ثم يمكنكما أخذه.

اقتربت منه بتوتر، وانهيت عملي مسرعة ليأخذوه بعيدا عني، كان على لسانه كما هائلا من الشروح، والكلمات رأيت هذا في وجهه الحزين، لكنه يعجز عن الحديث بوجودهما كيلا يوقعني في المزيد من المتاعب، ارتديت معطفي وغادرت المنشأة بعجل رأيت كونر في طريقي، داخل ساحة السجن بجانب السور الحديدي، يحادث مدير السجن أريد أن أخبر المدير عن مسألة شقتي لكن ليس الآن، فأنا منهكة، ومنزعجة، كما أنه منشغل مع كونر، ينتبه إلي كونر من بعيد مبتسما يتحدث مع المدير دون أن يرفع ناظراه عني، أشير له مودعة، يرد إلي إشارتي بيده مودعا لي، ثم يبتعد يتجول بعيدا مع مدير السجن.

اجلس وحيدة في محطة الباص التي تبعد عشرون مترا عن السجن، الساعة الرابعة فجرا والمنطقة تكاد تكون خالية من الأرواح، يقرصني الخوف في أحشائي لكني أتذكر كلمات ستيل: (عينت حارسا شخصيا لحمايتك)

هل حقا هناك من يحميني، أتلفت فجأة لأفاجئ من يحرسني علّي أن أرى لمحة منه، لكن لا يوجد سوى الفضاء الخالي والطريق الإسفلتي الأسود، تترامى على أطرافه عواميد الإنارة البالية، لا أعلم لم يهملون هذه المنطقة ربما لأنهم يخشون كل من هناك فالجميع يخاف مما يجهل وأولهم أنا.

أدخل وحيدة إلى الباص شبه الفارغ، وللمرة الأولى بعد مرض والداي أشعر بالأمان، نعم مازال أمر حارسي الشخصي يغضبني، لكن يمكنني النوم هنا مطمئنة على غير العادة، هل أجرؤ على النوم هنا؟ أغلق عيني المرهقتين فمازال الوقت مبكرا على الوصول إلى المنزل، كما أنه من المستحيل أن أتعرض للأذى ما دمت تحت حماية ستيل، أنفض خوفي بشجاعة وأغفوا بأمان.

أستيقظ على صوت ضربة نالت من زجاج النافذة الملاصقة لمقعدي، أمسح على وجهي بكسل يهم السائق بالتحرك لكنني انتبه لمحطتي فأصيح عليه:

_ انتظر أيها السيد سأترجل من هنا.

أعود إلى منزلي بخطوات بطيئة على غير العادة رغم أن هذه المنطقة تعتبر من أكثر المناطق أمانا إلا أنني لا أرتاح بالمشي فيها في ساعات الفجر الأولى، يا إلهي الساعة الخامسة والنصف فجرا، تبقت لي ثلاث ساعات للنوم فقط، ليتني اختصرت جهدي وبقيت هناك.

أجر الخطى نحو منشأة السجن، وأنا في حالة يرثى لها من الإرهاق، صداع يداهم رأسي ونعاس يهاجم مقلتيَّ، أقابل كارين في غرفة الخزائن، لا تبدو أفضل حالا مني، هي أيضا نعسة ومرهقة، تبتسم لي بكسل:

_ صباح الخير.

_ صباح الخير.

تتذمر بصوت هادئ على غير العادة:

_ ليتهم يدعونني أنام لشهر.

_ أما أنا فأتمنى أن يأتي طبيب آخر حتى لا يتكرر ما حدث بالأمس.

_ بالطبع سيأتي اليوم وأظن أن اسمه "كارل" هذا ما سمعته من حارس البوابة.

عزيزتي كارين حتى وأنت مرهقة لا تملين من استجواب الزملاء، لكنني مسرورة بهذا الخبر قلت بارتياح:

_ حمدا لله.

مضى الوقت بسلاسة فالمساجين اليوم أكثر تنظيما وهدوءً.

وأنا منغمسة في عملي شاردة التفكير بين الحين والآخر بشأن الشقة الفاخرة التي أمتلكها، أنا حقا لا أريد التفريط بها فهي دافئة وواسعة وكل ركن فيها يصرخ فخامة ورقيا، كما أنه بارع في إخفاء الأمر، كل ما يرعبني هي تهمة الخيانة التي تنتظرني حين يكشف السر، وحكم الإعدام حين ينقضي الأمر.

_انتهى عدد القسم الأول من المساجين، يمكنك الذهاب لتناول غداءك الآن آنسة آستر.

قوطعت ضوضاء هواجسي من قبل صوت الحارس وهو يغادر بصحبة آخر سجين لنا.

_ شكرا جاك سأغادر الآن.

قابلت كونر في المطبخ الخاص بالموظفين، يرتدي ملابس العمل الخاصة به، قميص وبنطال رماديين فأبرزا لون عيناه الزرقاوان، نقش اسم السجن على كتفه الأيمن بخيوط سوداء (سجن الخارقين ١٢) يلقي نكتة على ما أظن لجمع من الموظفين، هذا ما استنتجته حيت ارتفعت أصوات ضحكات من حوله من الحراس والعمال، أستأذن منهم بعد أن رآني وأقبل ليلقي التحية بوجهه البشوش الذي ألفته واطمأننت له:

_ مرحبا آستر.

_مرحبا كونر.

بدا واثقا وهو يقضم قطعة صغيرة من تفاحة حمراء:

_ هلا أكلنا سويا.

أجبته وأنا أفتح البرادة بحثا عن غدائي وهربا من عينيه، فهو بطلي، بالطبع أكن له مشاعر التقدير والامتنان، لكني أشك شيئا أخر يكبر بداخلي، مشاعر أخرى تتضارب في قلبي، وإن كانت ضئيلة مقارنة بمشاعري مع ستيل، أو أن إحساس الولاء يدفعني للبقاء بجانبه، ويُنفرني من تخييب ظنه بي.

_ لا مانع لدي.

تذكرت أنني استعجلت بالخروج ولم أجهز لنفسي شيئا، إحساس الخيبة، والوقوع في ورطة يحتويني، فأنا لم اشتري الطعام من مقر حكومي منذ سنين.

_ أوه نسيت فطوري.

أغلق هو البرادة بعد أن ابتعدت عنها، ربما لن آكل اليوم وجبة واحدة لن تضر إن تفاديتها، كما أنها ليست الأولى.

_لم آكل من الكافتيريا منذ أن كنت في الصف الخامس.

قال وهو يسحبني من يدي بمرح:

_ إنها ليست نهاية العالم، سأشتري لك شيئا لذيذا.

استسلمت ليده الدافئة تقودني كم أشعر بالأمان معه، إنه حقا رجل شهم وبسيط، وقفنا حيث تقبع أنواع الطعام لم انتبه لها يوما حتى، أوقفني كونر أمامها، قال بمرح يقلد طباخا معروفا في برامج التلفاز:

يخشن صوته ويحرك يديه كثيرا في الهواء مشيرا إلى أنواع الطعام المرتبة أمامنا داخل حاويات زجاجية شفافة.

_ لدينا انستي "لازانيا" ساخنة مع حفنة من الذرة الذهبية المطبوخة مع الزبدة، وللتحلية قطعة من كعك الشوكولا.

اضحكني تقليده السخيف وأذهلتني جرأته، زملاؤنا التفتوا إلينا وصفقوا له مهنئين دقة تقليده، فيما هو ينحني لهم كممثل مسرحي، كم أغبطه على روحه المنطلقة، فمن المستحيل أن أفعل شيء كهذا، وإن كان أمام أعز صديقاتي فيما هو لا يفكر بعدد جمهوره، قلت أنا لعلي أنهي الأمر فأنا لا أحب أن أكون وسط دائرة التهريج والكوميديا هنا، أنا لست جريئة مثله.

_ نعم لمَ لا نجرب.

جلسنا في أقصى اليمين، الموضع الذي لطالما جلست فيه وحيدة في أول أيام عملي.

تناول هو لقمة من اللازانيا، ثم قال:

_ولمَ الممرضة آستر تحضر طعامها من المنزل، ألا تثقين بطبخ السيد أوغست؟

_ لا، لكني تسممت بوجبة مدرسية حينما كنت في الصف الخامس، فخافا علي والداي، ومنعا عني تناول الطعام من المدرسة منذ ذاك اليوم، كما أنهما رفعا قضية بعد أخرى على تلك المدرسة.

قال بابتسامة واسعة ممازحا:

_ أمازالا يمانعان ذلك إلى اليوم؟

أخذت نفسا عميقا وسمحت لنفسي للمرة الاولى أن أسرد لأحدهم جزء من شقائي، فكونر يمتلك ذلك الوجه الذي بمجرد ما أطالعه أشعر بسهولة الانفتاح عليه.

_ لا إنهما في غيبوبة بسبب عملها في مجال الأحياء والفيروسات، الشركة التي كانا يعملان بها ترفض البوح بالسبب لأسباب أمنية كما تدعي، كانا قريبان جدا من الموت، لكنهما بخير الآن، كما أنني موقنة باستيقاظهما قريبا، إحساس داخلي يكبر كل يوم يخبرني بأني سأراهما يمشيان ويضحكان كما كانا يفعلان.

شعرت بيده الدافئة تقبض على يدي، ويقول متعاطفا:

_ بالطبع سيستيقظان فالطب في تقدم مستمر، بالأمس قرأت خبرا بأن شابا استيقظ بعد سنة كاملة أمضاها في غيبوبة.

أحببت نيته الطيبة في إزاحة قلقي عن كاهلي وانتبه إلى دموعي الحارة المتساقطة فأمسحها سريعا، وأقول له

_ شكرا كونر أنت تطمئنني.

فاجأتني كارين بجلوسها بجانبي.

_ لا أصدق، هل أقنعتها بتناول الغداء من الكافتيريا؟ لا بد أنها حقا معجبة بك.

حقا ممتنة لأنها لم تنتبه لدموعي أظنها ستحقق معي أمام كونر بلا رحمة عن سببها، أزعجتني بتصريحها العفوي فدست بقدمي على سطح حذاءها معترضة على حديثها، لكنها فضحتني أكثر وكأنها لا تملك أعصاب في أصابع قدمها.

_ هل تعلم بأني أحاول إقناعها منذ أشهر، لكنها ترفض باستمرار ويوم واحد معك أراها تأكل اللازانيا و الذرة الصفراء.

ثم تقهقه بصوت عال، وتغمز لي بعينها وكأنها مهدت الطريق لي مع كونر، رفعت نظري على كونر فوجدته يبتسم بسعادة منشغلا في مضغ طعامه، وكأنه قد فاز بجائزة ما.

أحرجت بشدة فأكملت وجبتي بصمت أستمع لكارين وكونر وهما يتحدثان عن طعام الكافتيريا وكيف أن الشيف الذي يطبخ هنا كانت له خبرة عشر سنين في أرقى مطاعم نيويورك، وعمل هنا بعد أن طرد بسبب إشاعات عن كونه رئيس عصابات سابق، تقول كارين بحماس:

_ أفراد عصابته السابقة حطموا كل شبر في المطعم اعتراضا على تقاعده منهم بعده فصل، وتقدم للعمل هنا حيث كاميرات المراقبة وحراس الشرطة، عندها تركته عصابته في سبيل حاله والإعلام كذلك.

قال كونر ونظرات جادة متألمة تسيطر على كامل وجهه:

_ للأسف الماضي يتسلط على المستقبل إنه قانون من قوانين الحياة الجائرة.

رددت عليه معترضة فأنا لا أؤمن بالحياة الظالمة: نحن من نصنع ظروفنا نحن من نقرر إما أن نظلم و إما أن نعدل

_ الماضي لا يتحكم لوحده بالمستقبل، فقط عندما تستلم له يفعل ذلك.

تنبهت لعلوا صوتي وحماسي الزائد فخجلت من انفعالي، فيما نظر كونر إلى صحنه وقال مستسلما لقضية جدال لا داعي لها:

_ ربما أنت على حق.

قالها ودس لقمة إلى فمه، لينتهي الحديث في هذا الموضوع، وتبدأ كارين بفتح موضوع آخر تنسجم معه.

أنهيت غدائي وتركتهم، علي أن أخبر المدير بكل شيء، وإلا سأخسر حياتي في حال كشف أمري، الإعدام هو حكم التعاون مع ستيل بأي وسيلة كانت، وهذا أمر لا يمكنني المقامرة به.

أقف أمام باب مكتب المدير، أرفع يدي حينا وأخفضها حينا أخرى، التردد يقتلني، أين سأسكن إن صادروا الشقة؟ سأخسر أثمن شيء امتلكته على الإطلاق، ليس مجرد الراحة والرفاهية بها بل الأمان والانتماء الذي سأفتقده حقا إن تركتها لهم.

_ هل ستدخلين؟

يفزعني صوت كونر، فأقمص إلى الخلف في حركة لا إرادية غبية، أرتطم به وأغوص في أحضانه فاقدة توازني، لكنني أتمالك نفسي وأبتعد عنه، فيما هو أحاط كتفاي بيداه مترفقا بي كيلا أقع على الأرض.

_ اوه أعتذر، لم أقصد إخافتك.

ابتسم بإحراج.

_ لا أنت فقط أخرجتني من حالة تفكير مركزة.

مال نحوي، وقال بفضول:

_هل سترفعين الشكوى على الشرطي بين، لأنني سأدخل لأشهد معك.

ابتسمت بحرج وأشرت بكفي نافية.

_ لا كارين أخبرتني بأنه يعيل ابنته ذات الأربعة أعوام، لذا سأنسى الموضوع، فأنا أضمن أنه لن ينسى بأنه مهدد بالفصل في أي ساعة قد أشكوه فيها، كما أنني أستمتع برؤيته يتهرب من المكان الذي تكون فيه.

_ حسنا إذا سأنتظر هنا حتى تنتهين.

_لا من الأفضل أن تدخل، لا أريد شيء منه على أية حال.

وهممت بالمغادرة لكنه أوقفني متقدما إلي بخطوة واسعة، ممسكا بكتفي شعرت بأنفاسه الحارة تنعكس على وجنتاي، هامسا لي وعيناه البحريتان تركز بإصرار على عينيّ:

_ أنا هنا إذا اردت الحديث أو حل مشكلة.

أحرجت وأحسست بضعفي أمامه أردت إخباره بكل شيء، أردت أن أتكل عليه، أن أهديه مشكلتي ليحلها هو وأرتاح أنا لكنني وجدت نفسي أقول:

_ نحتاج أجهزة حديثة في العيادة هذا كل شيء.

أه من عقلي الباطني المتحفظ إلى متى تنوي الاعتناء بكل تفصيل في حياتي، ترك كتفي ببطء، وابتسم بلطف

_ سأرى ما يمكنني فعله.

_ شكرا كونر سأراك في الجوار.

وغادرت الممر الطويل وقلبي يخفق بشدة، هل يعلم بأمر الشقة، أم أنه مرتاب بطبيعته؟ بل أنا المرتابة الآن وما أدراه عنا، إنه حتى لم يتم أسبوعه الأول هنا.

دخلت شقتي بعد يوم حافل من روتين عملي، وجدت الشقة كما رأيتها للمرة الأولى خلعت حذائي الرياضي الأبيض لتلامس قدماي خشب السنديان الرمادي الفاتح، حتى أنا أعرف أن ذلك ملمسا فاخرا مرفها لقدميّ المفلستين.

أرمي معطفي وحقيبة يدي على الصوفا، وأغوص بداخلها وكأنها بأكملها وسادة من ريش النعام، يكفيني النوم هنا دون أن أحتاج لأن أتقلب يمينا أو يسارا، فقط أغوص هنا بأي جهة ارتمي بها، وأغرق في نوم عميق، هل سأركل شقتي بقدمي الفقيرة هذه، ثم إن الجميع يعلم ويؤمن بأن ستيل سيهرب عاجلا أم آجلا، لكنهم يسرون مشاعرهم في دواخلهم، لمَ علي أنا أن أدفع الثمن، وأنا اكثر حاجة لسقف يظللني وغطاء يدفئني؟ وقفت فجأة وكأنني قررت بوقوفي بأنني سأثبت على قراري، أنا لن أتخلى عما أحتاج إليه.

أصعد الدرجات المغطاة بسجادة بيضاء تداعب قدماي بشعيراتها الوثيرة فتقنعني أكثر وأكثر بالتمسك بها.

الثامنة صباحا في قسم العيادة بسجن الخارقين ١٢

يدخل ستيل غرفة الكشف ويجلس بصمت على السرير.

_ أنا آسف، لم يحق لي فعل كل ما فعلته لك، عندما فكرت بالأمر وجدتني قد عرضتك لخطر أكبر من السابق.

ها هو يشعر بالندم، لكنني أيضا أشاركه الشعور، فأقيس ضغطه وأنا محرجة من مواجهته بتراجعي.

_ لا يا ستيل أنا التي أعتذر إليك، أنت انتشلتني من خرابة باردة وأهديتني مسكن دافئ.

تراخت ملامح وجهه، وسأل:

_وماذا عن الحرس، هل أعطيهم الأوامر بالانسحاب.

قلت بإحراج أكثر:

_ قد أبدوا طماعة، لكنني أفضل بقائهم.

زفر بارتياح وقال بابتسامة واسعة:

_ أي شيء ترغب به آستر ستحظى به آستر.

جهزت الحقنة الخضراء، ورحت أدسها في ذراعه ببطء، أحسست بيده تقبض على ساعدي وقد علت الجدية على وجهه:

_أنت تعلمين بأنني لا أفعل كل هذا لأي أحد، أنا احبك آستر، وأريد حياة معك.

كسرت الحقنة داخل يده من مفاجئته بحقيقة أهدافه معي، وانسكب المحلول الأخضر على ثيابه، كيف له أن يصارحني وهو يعلم من هو؟

_ يا إلهي.

رفعت بصري عليه وهمست بنوع ما من الحيرة الغاضبة:

_أية حياة وأنت هنا ستعدم بعد ثمانية أشهر.

_ أنت وأنا والجميع يعلم أن هذا مجرد خيال، إنها أمنيتهم التي لن أحققها لهم، سأهرب من هنا يوما ما، وسأعرض عليك الزواج، وعندما تقولين نعم، ستجعلين مني أسعد رجل على وجه الأرض.

أخرجت الإبرة الصغيرة العالقة في ذراعه بملقط حديدي، وجهزت حقنة أخرى أحاول هضم كلماته اللامنطقية، وقلت قبل أن أحقنته بها:

_ وما الذي يجعلك واثقا هكذا؟

قال بثقة مستفزة:

_ أستطيع أن أرى الحب في عينيك، وفي شفاهك التي تعضينها بلطف حين أدخل عليك، توترك الذي يجعلك تتخبطين بين أدواتك الكثيرة حين أطريك، وجنتيك اللتان تتوردان فور رؤيتك لي.

أظن حقا بأني أحبه، فكلمة نعم تبدو مغرية جدا لكنني لن أمنح له الرضى، كيف له أن يكون واثقا من كل شيء فابتسمت له بتحدٍ، وكأن الأمر لا يعنيني:

_ إذن لننتظر ولنرى ماذا سيحدث، يمكنك المغادرة الآن.

أستطيع أن أرى إحباطه المفتعل،

_حبيبتي آستر لا تكسري قلبي.

ويغادر وهو يغمز لي بعينه، فأشعر بالحرارة تشتعل في وجنتاي لأعلم بأنه محق، هاأنا أحمر خجلا لحركة بسيطة منه، يزداد ثقة بنفسه ويضحك في وجه حارساه الخاصان به، ليأخذاه بعيد عني.

يمر شهر بعد شهر، ومشاعري تزداد قوة كل يوم لستيل، لم نعد نكثر الحديث فقط نتبادل النظرات حتى يغادر عيادتي، مازلت لا أصدق بأنه هو من بين العالم أجمع من أحب، حتى بوجود كونر بجانبي وتقربه المستمر مني، إلا أن قلبي لا يفزّ طربا حتى يدخل ستيل عيادتي، لكني أغتاظ حقا من ثقته العمياء بنفسه، رغم معرفتي بأنه على صواب ألا أني أستفزه بين الحينة والأخرى، كما أنه من السخف أن أحبه وأخسر كل شيء، وأهمها حريتي و حتما حياتي، ربما كونر هو الخيار الأفضل لي منطقيا، فهو شاب وسيم وجدي في عمله، كما أنه شهم وواضح، أقرأه ككأس ماء صافٍ، لو لم يكن ستيل سيكون حتما كونر.

تحققت من مظهري في مرآتي الصغيرة كل شيء ما زال في مكانه كل شيء مثالي، ما زالت رغبتي بالتأنق تشتعل عندما يحين موعد لقائنا، دخل ستيل بعد أن طرق الباب مرتان متتاليتان، ثم ألقى التحية بوجهه الفاتن وعينيه الآسرتين، التي ما إن تلتقي بعيني أجدها تخترق روحي، فيكتشف حقيقة مشاعري، لكن علي ألا أستسلم سأخسر عملي ما إن استسلم بأفعال ممنوعة قد يلقنها علي قلبي، قال بصوته الواثق:

_ مرحبا آستر جون.

رددت عليه التحية بكل رسمية أخفي لهفتي إلى النظر لوجهه:

_ مرحبا سيد ستيل، كيف حالك هذا المساء؟

رد علي يصطنع الألم ويضع يده على صدره

_ سيئ للغاية فأنا فقدت قلبي على يد ممرضة ذات وجه ملائكي.

حاولت تجاهل كلامه لكني شعرت بحرارة الدماء وهي تتدفق إلى وجنتي لتفضح مشاعري نحوه.

ابتسامة النصر الجذابة تعلو شفتيه، وقال لي بمكر:

_ ممرضة آستر، هل أنت بخير؟ وجهك محمر قليلا.

كم أكره ثقته الزائدة ففكرت في إثارة غيرته قليلا، بعد أن لففت شريط جهاز قياس الضغط حول ساعده أشرت إلى هاتفي بداخل جيب معطفي الأبيض وقلت له وأنا أتصنع الضحك:

_ كونر أرسل لي تلك النكتة الرهيبة للتو، أقسم أني ضحكت حتى دمعت عيناي.

عبس الإمبراطور ستيل هارت كما يسمي نفسه، وضحكت أنا، بعد أن أدرت ظهري له من يصدق ها أنا أتلاعب بالرجل المطلوب عالميا من جميع الدول والحكومات.

شعرت بهزة خفيفة تحت قدميّ، بعدها انطفأت جميع الأنوار وساد الهدوء المخيف في الغرفة، علمت على الفور أن هناك أمرا سيئا على وشك أن يحدث، شعرت بالخوف، والغثيان استندت على الجدار في محاولة مني للتماسك، اقترب مني ستيل بدافع حمايتي، وقال بقلق:

_ هناك من يريد الخروج مبكرا من هنا، الفوضى ستغمر السجن لكني أضمن لك إن كنت برفقتي لن يتجرأ أحد على وضع يده عليك.

دخل الحارسان بين وماثيو المكلفان بستيل الليلة، يحمل كل منهما كشاف صغير وسلاح من النوع الرشاش المليء بالطلقات الخضراء.

قال الحارس بين:

_ علينا نقل السجين ستيل هارت إلى الزنزانة الخاصة، هذه حالة طوارئ.

نظرت بغضب إلى ستيل لعله السبب، أما هو فقد فهم نظرتي إليه وقال على الفور:

_ أقسم أنه ليس أنا.

قال الشرطي ماثيو حازما:

_ علينا الخروج من هنا الآن.

خرجنا من قسم التمريض بنظام يثير الإعجاب كان الحارسان مركزان على عدم إثارة الانتباه و تجنب العدد القليل من المساجين المنتشرون بفعل الفوضى، عبرنا الممرات ببطء وصبر، أنا أتبعهما على أطراف أصابعي فيما ستيل يبدو عليه البرود و الملل، يعقد يداه خلف ظهره و يتبع الحارسان بصمت، اقتربنا من باب صغير كتب عليه مؤونة نظافة دخلنا إليها، و أقفلنا الباب بعدها شعرت بخيبة أمل كبيرة فهمست لهما حانقة:

_ حقا أهذه هي الزنزانة الخاصة؟

تجاهلني الحارسان وهما يزيحان دولاب حديدي بعجلات صغيرة، ليتضح لنا طريقا مخفيا، حينها شعرت بسخافة ما قلته، لكنني أيضا أحسست بالأمان وأنا أعبر معهم الممر السري الذي ينيره إضاءة خافتة على طوله لعله يعمل بمولد خاص دخلنا إلى غرفة كبيرة من بعيد ينصفها زنزانة مطورة تبدو بأكملها من الفولاذ السميك، تظهر نافذة هائلة من الزجاج المضاد للرصاص مستطيلة في وسط الجدار، وجه الحارس ماثيو سلاحه نحو ستيل قائلا:

_ أدخل الزنزانة الآن.

قال ستيل بتحدي:

_ سأدخل إن رافقتني آستر.

قال الحارس ماثيو:

_ أنت سجين هنا لن تلقي بأية أوامر، فقط ادخل الزنزانة بهدوء ولن يتأذى أحد.

كنت أحس بخوف ستيل علي كان يتحدث وهو ينظر إلي بقلق، في الحقيقة أنا أيضا أرغب بالبقاء معه، فلن يتجرأ أحدهم أن يطلق النار علينا، أو حتى يشتمنا وأنا بجانبه، لكنه القانون لا يمكن لأحد أن يعصي القانون، قطع أفكاري ستيل وقد بدأ يستاء:

_ إذا وجدوكما المساجين سيقضون عليكما في ثوان، هل تتوقعون بأن أسلحتكم التي تحملونها ستحميكم؟ أنهم مجانين وأقوياء وسريعون حتى أدويتكم لا تبطل سوى خمس وعشرون بالمئة من قواهم، ستطحنون كما لو كنتم حفنة من الفراشات الرقيقة، لا يمكن أن أسمح لآستر بأن تبقى معكما أنا أعدكما بحمايتها سأفديها بحياتي.

تلك اللحظة أدركت مقدار حبه لي، نعم أنه سيفديني بحياته كنت مرعوبة من الظروف المخيفة التي تحيط بنا، لكني سعيدة بكلمات ستيل تمنيت أن أصارحه بحبي لكنه لا الوقت ولا المكان، نعم سأصارحه لكن ليس اليوم.

قال بين وقد رفع صوته معلنا أن صبره قد نفذ:

_ وهل تظننا حمقى لنصدقك! أنت لست سوى لص شوارع صدف أن أمتلك قوى ضخمت أفعاله.

وقتها رفع الحارسان أسلحتها نحو ستيل وفي أعينهما شرر القتال يصرخان به ويأمرانه بالدخول منفعلان، ستيل يقف بعناد أراه يشد على قبضتيه وكأنه ينوي مقاتلتهما، التوتر والخوف غمرا المكان علمت بأن مذبحة صغيرة ستحدث هنا ما لم أتدخل، فهرعت إلى ستيل وقلت له وأنا أكاد أفقد عقلي من هول الموقف، ترجيته وأنا أكاد أذرف أدمعي، وقفت أمامه وأحطت قبضتيه المشدودتان بكفيّ علي أن ألين رأيه:

_ أرجوك ستيل إنها القوانين، أدخل الزنزانة وسأكون بخير.

نظر إلي بعينين محبتين خائفتين وأرخى قبضتيه ليمسك يداي.

_ أنا لا أثق بهما.

همست له أجبر فمي على الابتسام:

_ لن يؤذيني أحد إنه مقر سري لن يجدنا السجناء أبدا، بضعة ساعات وسنكون أحرارًا.

بدت معالم الاستسلام تظهر على وجهه، وهم بالانسحاب إلى داخل الزنزانة لكنني أردت أن أخبره قبل أن نفترق فشددت على يده واقتربت من إذنه، كنت أرتجف كورقة خريفية لكنني تشجعت وقلتها له:

_ أحبك.

ابتسمت له بعد أن قلتها، شعرت بارتياحه لسماعه تلك الكلمة، على الرغم من خوفه الواضح على وجهه، دخل إلى الزنزانة وأغلق الشرطي بين الباب بعد أن ضغط على أربعة أرقام سرية، وقفت أمام النافذة الزجاجية، ووقف هو مقابلا لي، كانت

تفصلنا عشرة إنشات من الزجاج المقاوم للرصاص قال هو بابتسامة العاشق، وإن لم تروا ابتسامة العاشق فهو ذلك الفم الذي يحمل طنا من الكلام الممنوع، المحرم، والمحتضر:

_ أنا أيضا أحبك.

لم أكن أتوقع أن للحب هذه القوى، تلك السعادة التي تشعرني بأني أقف على غمامة بيضاء، كنت أستمتع بتلك اللحظة، لحظة المصارحة بالحب خصوصا أنها مرت بسلام رغم الأحداث المضطربة من حولنا، كم أشعر بالأمان عندما أكون برفقته، وكأنه حلم، وكأننا سنكون بخير.

صوت رصاصة صدر من خلفي فاستدرت إلى ورائي لأرى ماذا حدث، وانتهى الحلم الوردي قبل أن يبدأ، كان بين ممسكا بسلاحه موجهه نحو ماثيو وماثيو المتفاجئ يسقط على الأرض بعنف، ودمائه قد خرجت من ثقب صغير في جبينه، امتزجت حمرة دمائه مع حمرة شعره فأزداد احمرارا ودموية، هالني ما رأيت، لم أفهم لما قد يفعل بين شيئا كهذا فصرخت عليه:

_ ماذا فعلت.

وجه سلاحه نحوي وقال بخبث:

_ أنا آسف، عرضوا علي الكثير من المال.

صرخ ستيل من ورائي ووجه يحمر غضبا.

_ اقسم إن مسست شعرة واحدة من رأسها سأمزق أطرافك.

تجاهل بين كلام ستيل وقال مبتسما لي:

_ لما لا تقتربين مني عزيزتي.

أردت الهروب لكن قدماي لا تتحركان شعرت بالزجاج يهتز من خلفي فعلمت بأن ستيل يجاهد للخروج من سجنه، لكن لا أظنه يقدر، عددت إلى ثلاث وغامرت راكضة نحو الباب لكن بين كان قريبا مني فاستطاع أن يلحقني ويقفز خلفي ليمسك بقدمي اليمنى، وقعت على الفور فوق جثة ماثيو، حاولت أن أسحب السلاح من يد ماثيوا لكن بين يجرني بكل قوته لأصل إلى قدما ماثيو، لمحت سكينة صغيرة تلتصق بحزام صغير على ساقه فوق حذاءه مباشرة، فأخذتها وخبأتها تحت يداي أدارني بين بعنف يتأمل وجهي، وهو يجلس فوقي ليصير تنفسي عسيرا، اقترب بوجهه المقرف من وجهي وقال:

_ كم أحب اللون الأسود مع البشرة البيضاء، قمة التناقض تزيدك سحرا.

شعرت بدموعي الدافئة تمر على وجنتي، أحدنا عليه أن يموت ولن يكون أنا، لم أكن أعلم عندما التحقت بالتمريض بأنني بدلا عن إنقاذ البشر سأقتل أحدهم، كنت واثقة بمقدرتي على القتل فغريزة البقاء تشتعل في جسدي كالنار في الهشيم، وهو

لن يتوقعها مني أبدا، انتظرت حتى تحررت يدي من يده التي مررها على شعري برفق فأغرس سكيني في جانبه الأيسر بين أضلاعه، صرخ بألم وهو يشتمني فدفعته بكل قوتي ليسقط أرضا وهو يكيل السباب المر لي، هربت من هناك، ودمائه الدافئة تغطي ملابسي البيضاء، كنت ألهث بشده مما اقترفته يداي، عبرت الممر في ثوان لأدخل إلى غرفة مؤونة التنظيف، لم أكن متأكدة من موته، كنت خائفة من البقاء هنا فيلحقني، وخائفة من مغادرة الغرفة فأجد قطيعا من السجناء، وكلا الخيارين مر، تقيأت كل ما في جوفي، الألم التعيس يسيطر على معدتي، عادت إنارة الغرفة و الممرات فصار من الصعب الاختباء، اهتز هاتفي بداخل جيبي فرفعته بأصابع مرتعشة، إنه كونر رددت له بسرعه:

_ كونر!

قال متلهفا:

_ آستر، هل أنت بخير؟

أجبته بصوتي المرتجف:

_ نعم. أنا بخير، بين إنه فاسد قتل ماثيو، وأظنه سيلحق بي.

قال كونر غاضبا:

_ عليه اللعنة، أين أنت؟

_ خرجت للتو من ممر سري خاص بزنزانة ستيل، أنا في غرفة مؤونة التنظيف إنها في ...

قاطعني كونر:

_ أعرف أين هي، أنا في غرفة مراقبة، سأوجهك نحو الطرق الآمنة لتصلي إلي.

أجبته:

_ حسنا.

علي أن ألتزم بما يقول يبدو واثقا من نفسه، يعرف الكثير من الأمور بالنسبة لعامل نظافة، حتى أنا لم أكن أعلم بوجود غرف كهذه، احترت في أمره لكن لا وقت للتفكير كنت أنصت لصوته عبر الهاتف بكامل تركيزي.

_ اخرجي الآن واتجهي للشمال بسرعة.

فعلت ما يأمرني به، على الرغم من تخيلي بأن خلف الباب ينظرني جيشا من المساجين، لكنه كان خالٍ تماما تنفست الصعداء وحمدت الله.

_ أستطيع رؤيتك بوضوح، سترين ثلاثة أبواب على يمينك أدخلي من الباب الثالث.

دخلت من الباب الثالث وقد كان ممر طويل كنت أعبره هرولة أحاول قدر الإمكان ألا أصدر صوتا يفضح وجودي هنا.

وصلت إلى صالة كبيرة يفصلني عنها باب كبير به نافذة صغيرة كنت أسمع أصوات ثلاثة مساجين.

قال كونر:

_ إنها صالة طعام نزلاء السجن، الباب مفتوح هل ترين الباب الآخر إنه بعيد قليلا ومغلق لكن إذا جريت بكل قوتك سأفتحه لك حتى تعبرين، ومن ثم سأقفله ستكون لدينا دقيقتان بعدها لأخفيك عنهم.

رددت عليه هامسة:

_ لا أستطيع أنا خائفة سيرونني سيمسكون بي إنهم سريعون، نزلت دموعي لتشوش نظري أمسحها بعنف علها تتوقف، وأنا أنظر لكاميرا المراقبة إنه يراني من هناك.

أستطيع الشعور به يتفاعل مع بكائي فأحتقن صوته قليلا، لكنه عاد سريعا إلى حزمه:

_ أرجوك ثقي بي أستطيع أن أخرجك من هنا.

ارجعي إلى الوراء واركضي بكل سرعتك بكل قوتك لديك فرصة كبيرة في الهروب منهم، ثقي بي.

رددت عليه وكلي إيمان بأنه لن يخذلني:

_ أنا أثق بك.

أدخلت الهاتف في جيب معطفي الدامي، وفعلت ما أمرني و كضت بكل سرعتي عبرت الباب الأول رأيتهم وأنا أركض نظرة خاطفة، من يساري ثم عدت أركز على الباب سمعتهم يصرخون علي يضحكون لعلهم يعلمون أن الباب مقفل يتوقعون بأنهم قد ظفروا بي، لكنه فتح لي عندما دفعته وخرجت من هناك أخرجت الهاتف من جيبي.

_ كونر.

كان منفعلا:

_ بسرعة اركضي حتى تصلي لباب رمادي اللون، سيكون على يسارك إنهم خلفك سيكسرون الباب في دقيقة.

فعلت كما أمرني سمعت أصوات السجناء وقد كسروا الباب، أخيرا رأيت الباب الرمادي عبرت منه وأقفلته بسكون خلفي.

_اصعدي الدرج ثلاثة أدوار، سأكون في الطابق الثالث.

صعدت درجات الثلاثة أدوار، وكأن شبحا لئيما يطاردني، وصلت للباب الرمادي الآخر.

_ انتظري هناك سجين بجانب الباب لكنه سيلحق بزميله إلى مكان آخر.

كنت أرى ظل قدماه تحت الباب وأسمعه يقول:

_ قادم إليك.

مرت دقيقة حتى حسبت بأنه نساني، لكنه رد إلي:

_ الآن أعبري الممر سأكون وراء الباب رقم خمسة عليه لوحة مكتوب عليها مستلزمات النظافة.

وأخيرا سأكون مع شخص أثق به، عبرت الممر سريعا، عددت الأبواب باستعجال، وقفت أمام الباب الخامس ليفتح لي فورا، إنه كونر أدخلني معه في غرفة متوسطة الحجم، مليئة بشاشات المراقبة.

بكيت وبكيت تذكرت ماثيو، فقلت لكونر بصوتي الباكي:

_ لقد قتل ماثيو، وأراد أن يؤذيني لكنني طعنته.

احتضنني كونر بحنان، ومسح على رأسي وظهري، فتشبثت به وتنهدت بألم، قال هو يواسيني:

_أوه عزيزتي آستر الحمد لله لأنك بخير، لا تقلقي سنخرج من هنا قريبا.

جلسنا متجاورين يحيطني بذراعه، وأسند رأسي على كتفه، أعيننا تراقب الشاشات الصماء،

قال كونر:

_ اتصلت بالأمن القومي، المكان سيحاط قريبا بالجنود ورجال الشرطة، جميعهم من أصحاب القوى، سنكون بأمان.

مرت عشرة دقائق حتى تنبه كونر على تغير في الأوضاع بداخل السجن، وقف كونر، واقترب من الشاشات بقلق.

نظرت بدوري إلى أعلى إلى الشاشات المراقبة العشرون، أنهم المساجين اكتشفوا الغرف السرية، إنهم يقتحمون غرف الصيانة ومستلزمات التنظيف، يخرجون المدنيين ويقتلون رجال الشرطة إنها فوضى مذبحة.

خرجت من فمي كلماتي بيأس:

_ يا ألهي سنموت هنا.

تقدم مني كونر، وأمسك بيدي نظر إلى عينيّ الباكيتان بعينين تعلن القوة والعزم، وقال بكل ثقة:

_ لا لن نموت هنا، لن أسمح لهم بالاقتراب منك.

أعجبت بقوته وحسن تدبيره، لكنه رجل عادي أمام جيش من أسوء وأعتى البشر، فكيف له أن يجزم هكذا، رددت عليه:

_ ماذا يمكننا أن نفعل؟

قال وهو يرسم خطة في عقله وكأنه يتذكر خريطة سجن وهمية:

_ سنختبئ في النقاط العمياء، الأماكن التي لا تظهر على كاميرات المراقبة قدر الإمكان لكن سأدمر هذه الشاشات أولا.

وأتبع القول بالعمل أخذ عصى مكنسة طويلة وكسر بها جميع الشاشات، انتهى في دقيقة ومد يده لي:

_ هيا بنا.

كنت خائفة بل هلعة من الخروج قلت له وأنا أحيط يداي بساقاي وأضمهما لي:

_ اذهب أنت، لا أريد الخروج من هنا.

قال وهو يوقفني بيديه ممسكا بكتفيّ

_ أنت لا زلت في حالة صدمة، سآخذك معي حتى لو اضطررت لحملك طوال الطريق.

تخيلت المنظر أحسست بالإحراج، لا أريد أن أكون عائقا له، ليس في يوم كهذا فاستجمعت ما تبقى لي من شجاعتي، وقلت بصوت مبحوح:

_ لا سأخرج معك.

ابتسم بتوتر قائلا مشجعا:

_ هذه هي فتاتي.

أخذ نفسا عميقا ليشرح لي خطته:

_ الهدف هو ساحة السجن الخارجية، أريدك أن تكوني كظلي خلفي، وصامتة، علينا أن نتسم بالهدوء حتى نصل للساحة، بعدها سيسهل لنا الخروج من السجن، خصوصا بعد وصول الإمدادات.

أومأت برأسي متفهمة.

_ حسنا.

كانت يداي ترتعشان، وجسدي يرتجف من البرد، أو ربما الخوف الذي يوهمني بالبرد، لم أعد أفهم جسدي، أمسك كونر يداي بيداه الدافئتان، وقال لي وهو يبث فيهما الدفء:

_ سأخرجك من هنا يا آستر، سنخرج سويا وسنكون بخير.

ابتسمت له في محاولة بائسة لدعمه:

_ بالطبع.

ألتفت هو إلى الباب، وفتحه ببطء، استمع للأصوات الخارجية، لكن الهدوء يعم الممر خرج هو وخرجت أنا معه، كنا نركض باتجاه الدرج الذي قدمت منه قبل دقائق عبرنا الباب الرمادي لنجد أمامنا مجموعة كبيرة من المساجين ربما عشرون رجلا، يجلسون على الدرجات السفلى منسجمون في أحاديثهم عن جرائمهم في الساعة الأخيرة.

أمسكت يد كونر لنتراجع إلى الوراء فلا طاقة لنا بهم، لكن كونر تجاهلني وهو يعبر المسافة بينهم بسرعة هائلة لم يكن رجلا عاديا بل كان رجلا خارقا، لم أصدق ما أراه وما أسمع، رؤية اللكمات من يد كونر، وسماع التأوهات من المساجين، نعم حاولوا المقاومة لكن كونر كان أقوى وأسرع وأحزم من أي واحد منهم، طرحهم جميعا أرضا في دقيقة، ثم نظر إليّ كنت قد غطيت فمي بيدي لم أكن أتخيل أبدا أن كونر من نفس نوعهم، لعله عميلا سريا فقد كان دائما الرجل البسيط صاحب الظل الخفيف في نظري، لم أكن أتصوره الرجل ذا النظرة الحازمة، والأوامر الصارمة.

_ هيا آستر حتى لا يتجمعوا علينا، إنهم يراقبوننا عبر الشاشات.

_ هل هم موتى.

عاد إلي بنفس السرعة وقال بوجه خالٍ من العواطف:

_ لا يمكنني المخاطرة بتركهم أحياء.

همست بصوت منخفض:

_ من أنت!

فأنا لم أعد أتعرف عليه، إنه ليس كونر البريء والواضح الذي اعتدت عليه!

إنه رجل آخر، رجل لا أتعرف عليه.

أشاح بوجهه عني، وقال:

_ أنا هو ما تحتاجينه الآن، هيا بنا.

تبعته بصمت، غادرنا منطقة الدرج، لكن علينا للأسف أن نمر على حجرات السجناء، التي تتكون من خمسة أدوار ومن عندها سنصل إلى الساحة الخارجية، ثم سنكون بأمان، كنا بالطابق الخامس كانت الخطة تبدو سهلة لكن في الحقيقة كانت أصعب ما مررت به في حياتي، كانت الممرات متسخة بالأوراق الرسمية المبعثرة، صادفنا جثة الحارس جاك وقد شوه وضرب حتى الموت، وجدت صعوبة في المشي من أمامه، لولا يد كونر التي تجرني بعيدا عنه لشللت أتفكر في جثته الممزقة، وصلنا لقاعة حجرات السجناء كانت الأنوار تنير القاعة الكبيرة، التفت كونر إلي وقال:

_ سنمشي ببطء لا نريد أن نلفت الانتباه لابد أن العديد منهم فضل البقاء في زنزانته، في كل طابق يوجد باب يؤدي إلى ممر آخر طويل، في نهايته توجد السلالم المطلة على الساحة، منها سنعبر إلى الخارج.

أجبته وكلي أمل في الخروج من هنا:

_ حسنا.

أمسك يدي اليسرى بيده اليمنى هذه المرة شعرت بارتجاف يده فعلمت بأنه خائف، كونر يخاف، أنا أؤمن بأنه لا يخاف إلا من خطر محقق، تمسكت بيده بكل ما أوتيت من قوة كم سأكره أن أفارقه الآن، مشينا حتى وصلنا منتصف القاعة عندها سمعنا أصوات صفقات تتردد من حولنا فتثير الرعب في نفوسنا، ثم فتح الباب الذي ننوي العبور منه وخرج منه المئات من السجناء، كانوا يصفقون لنا وهم يضحكون علينا يستهزئون بنا، قال أضخمهم حجما الواقف في مقدمة الصفوف.

_ رأينا كل شيء، فقلت للجميع: علينا استقبال الثنائي الظريف ذاك.

ثم قهقه ضاحكا بجنون وأكمل:

_ هل تظن أنه بإمكانك حقا قتل ألف سجين هنا؟

شد كونر على يدي أكثر وقال لهم بصوته القوي:

_ سأقتل كل من يقترب منا، من يقدر حياته يعود إلى زنزانته.

لكن لم يتحرك منهم أحد ظلوا يحدقون بنا باحتقار، بتحدٍ، بعيون من الشر الخالص، فعلمنا أنا وكونر ما ينتظرنا، لابد من المواجهة في قتال عنيف معهم.

فالتفت إلي متجاهلا ألف سجين يتوعدنا بنهاية مميتة، وأحاط يديه بوجهي، قائلا: بصوت يكاد يكون مبحوحا، وعينين تلمعان بشيء من الدموع.

_ حين اقاتلهم اهربي يا آستر اهربي بعيدا من هنا، لا تهتمي إن مت، فقط انجي بنفسك، وإن نجوت أنا سألحق بك سأجدك وسأحميك.

لم أتمالك نفسي بكيت وقلت له:

_ لا، كونر لن تموت اليوم، أنت أقواهم يمكنك الانتصار عليهم، أنت قلتها سنكون بخير.

فارقت دمعته عينه فأثار ذلك رعب في داخلي، إنه لا يصدق كلماتي، رد علي:

_ أتمنى ذلك.

ثم اقترب من وجهي، وقبل شفتاي برقة ثم همس:

_ أقبلك، وكأنني أقبل الحياة نفسها لكن بحلوها فقط بهناها وحسنها بعذوبتها وغناها، أشعر وكأني ثريا بلا مال وملكا بلا ملك، قد أموت شهيدا في حبك لكني سأموت سعيدا.

وداعا آستر، وداعا أيتها الطاهرة، وداعا أيها الحب العظيم، وداعا أيتها الروح اللذيذة، فقط كنت أتمنى لو بادلتني المحبة ولو لدقيقة.

أحبك وسأحبك حتى آخر أنفاسي.

وانطلق نحوهم كرصاصة جامحة، كان يقتل فيهم بلا هوادة، وهم يحاولون ضربه بالقضبان الحديدية، تفادى الكثير منها في الدقائق الأولى لكن شيئا فشيئا بدأ بتلقي ضرباتهم بصلابة، لكنهم كثر وهو واحد، وإن كان أقواهم، في النهاية بعد عشرون دقيقة من القتال أصبح عاجزا عن الوقوف، قلبي سينفجر من الخوف عليه، لا أحتمل الثواني الأخيرة، لكن ما الذي يمكنني أن أفعله لأنقذه لا شيء حتما لا شيء، هاهو جسده المتخم بالجراح بالكسور ينهار على الأرض، تلقى الضربات حتى فقد وعيه، لم أعد أراه لعله مات كنت أصرخ فيهم.

_ دعوه لا تقتلوه أرجوكم.

لكنهم يضحكون قتل منهم الكثير لكنهم ما زالوا يقهقهون إنهم مرضى مجانين.

حمله رجل ضخم ورفعه في الهواء واقترب من السور الحديدي الأبيض ثم نظر إلي بشماتة، رأى نظراتي المكسورة فرماه وهو يقهقه، كمن يقضي أثمن لحظات حياته، صرخت به بصوت انسلخ معه جزء من روحي.

_ لا، كونر.

رمى كونر بكل قوته نحو القاع على الأرضية القاسية.

ركضت من بينهم نحو السور لأرى كونر ممددا على الأرض على بعد ثلاثين مترا عني، سمعتهم يقولون:

_ دعوها تحزن عليه لدقيقة.

طول السور الحديدي مترا تقريبا فتسلقته بسهولة فيما أكبح بكائي بصعوبة، وقفت على الطرف الآخر منه وابتسمت لهم ساخرة، وقلت:

_ لن أسمح لكم بانتهاك جسدي.

واستعددت للموت سأشارك كونر المصير، فقط أتمنى أن أموت سريعا، رأيتهم يركضون إلي فدفعت نفسي بيدي لأسقط في الهواء كانت ثوانٍ لكني تذكرت حياتي، الجزء الجيد منها والجزء التعيس، كلا منا له نصيبه في هذه الدنيا، وأنا قد رضيت بحياتي التي عشتها، علي فقط أن أقبل بأنها انتهت حياة آستر جون قد انقضت، لكن يد قوية تقبض على يدي فعلمت بأنهم قد ظفرو بي، لا لا يمكن هل انتصر الشر على الخير، لا أريد ذكريات أخرى، أريد فقط أن أنتهي هنا صرخت بهم وأنا أضرب تلك اليد الحديدية الممسكة بي.

_ لا دعوني لا أريد هذه الحياة.

يده الدامية تقبض على يدي بقوة تكاد تكسرها تأوهت ألمًا.

رفعني سريعا فالتقت عينانا لم أصدق ما رأيت أنه ستيل هارت حالته سيئة للغاية، دمائه تغمر ثيابه والكدمات تكسو جسده، لكنه جاء، وصل ليحميني كما وعدني.

رفعني فوق السور وأوقفني بجانبه ثم ضمني إليه بحنان قائلا:

_ أوه يا حبيبتي آستر لا أصدق بأنني كنت سأفقدك.

قلت له بذهول وألم بانهيار وتعاسة:

_ لقد قتلوا كونر، اِفتداني بحياته.

قال وهو يشدني إليه أكثر وأكثر:

_ إذا سآخذ بثأره.

الصمت والهدوء المخيف يعم المكان، أعين السجناء تراقبنا، ابتعد عني بلطف، وأمسك بيدي اليمنى، ومشينا من بين المساجين الذين يتنحون عنا، لم أرى هيبة كهيبة ستيل، رغم الدماء السائلة على يداه وجراحه المنتشرة على جسده، ومشيته المتعرجة، أراهم يتحاشون النظر في عينيه، يطبقون الصمت المهيب مشلولي الأقدام فلا يتحركون، وقفنا أمام غرفة مراقبة لها نوافذ زجاجية واسعة، وأدخلني بها وقال:

_ عديني ألا تنظري إلى الخارج.

سألته وأنا أعلم على ما ينوي القيام به:

_ أين ستذهب؟

قال قبل أن يقفل الباب:

_ الدماء النجسة عليها أن تسيل.

غادر وعلت أصوات الذعر حولي، صياح الموتى وعذاب الأحياء كسر الرقاب وتهشيم الجماجم جلست على الأرضية الباردة وسددت أذنيّ بسبابتيّ لا أريد أن أستمع للمزيد، يكفيني ما مررت به.

كانت حرب صغيرة في حجرات المساجين قتل كل واحد منهم لم يعف عن أحد، بعدها غادر السجن بلا عودة، حتى أنني شعرت بدمائهم الحارة تصل إلي، وتبلل ملابسي لكنني لم أتجرأ على النظر إليها أبدا.

كنت أجلس وحيدة في غرفة المراقبة حين دخل علي رجال الأمن القومي قالو بأنني الناجية الوحيدة، كنت في حالة هستيريا فضيعة أجهش بالبكاء، عاجزة عن الكلام، تعاطف معي رجال الأمن، حملني أحدهم وطلب مني أن أغمض عينيّ وفعلت، توقعت منظرا لا يقل بشاعة عن رؤوس مفصولة، وأطراف ممزقة، أخرجوني من هناك وهم في حالة ذهول، أدخلوني سيارة الإسعاف، وذهبت إلى المشفى برفقة مسعفة شابة تقيس ضغط دمي ونبضات قلبي، تعبت حينها من البكاء فالتزمت السكوت، تابعنا بقية الإجراءات في المشفى المركزي، الصحافة في كل مكان الفحوصات والأشعة أنهكتني، فبعد أن أعادوني إلى غرفتي غفوت لكني استيقظت بكابوس مخيف، رأيت كونر يقتل أمامي صرخت باسمه حتى استيقظت، كنت وحيدة في غرفة المشفى، ضغطت على زر مناداة الممرضة فجاءت بوجه بشوش متفهمة لمعاناتي.

_ هل تحتاجين إلى شيء عزيزتي.

سألتها متلهفة:

_ أين كونر هل وجدتموه أريد أن أراه.

قالت لي وهي تغطيني بملائة بيضاء:

_ لم نستقبل أحدا غيرك من السجن.

أحتاج قشة لأتعلق بها كي أنجوا، خبرًا واحدًا سعيدًا سيفي بالغرض.

_ ماذا عن كارين، ريبيكا، الطباخ أوغست، الطبيب إدوارد، أحدهم أي أحد.

_ أنا آسفة عزيزتي أتمنى لو كنت أستطيع أن أُفيدك، لكن لم تصلنا أية أخبار عنهم، عليك أن تنامي الآن فجسدك منهك للغاية.

استلقيت على جنبي الأيمن محاولة النوم هربا من التفكير في كونر وستيل، ما زلت أتذكر الضربات القاسية التي تعرض لها كونر وسقوطه بعنف على بعد ثلاثين مترا، أتمنى أن يكون قد نجى ربما قوته تنقذه من الموت.

أما ستيل الذي هرب بعد أن أنهى حياة الجميع، هل عاد إلى موطنه الجديد إمبراطورية ستيل هارت؟

هل تخلى عني بعد أن أعلنت له حبي؟ غفوت مرة أخرى وهذه المرة بقيت نائمة حتى الصباح، استيقظت على طرقات رجل و امرأة عرفا عن نفسيهما، محققان يعملان لقوات الأمن القومي، الشاب أليكس طويل ممتلئ بشعر مموج بني والفتاة جسيكا صهباء ذات عينان خضراوان واسعتان جميلتان، كانا مهندمان للغاية فشككت بأنهما يعلمان بأمر كونر سألتهما قبل أن يجلسا:

_ ماذا حدث لكونر هل نجى؟ أنا أعلم بأنه يعمل معكم، علي أن أعرف ماذا حدث له.

تجاهلت سؤالي الفتاة لكن قال الشاب مباشرة متعاطفا معي وكأنه يعلم أن كل ثانية تمر أتعذب بها.

_ أنا آسف كونر وجد ميتا في الطابق الأول من قاعة حجرات المساجين.

شهقت بألم، علمت مسبقا بأنه قد مات، لكن قلبي كان يرفض الواقع بشدة حتى كدت أن أصدقه، ذرفت الدموع له حاولت التماسك للتحدث مع المحققين، طلبا مني أن أحكي لهما ما حدث منذ البداية، فأخبرتهما بكل ما مررت به وبعد كل جملتين أسكت لبرهة أرتاح فيها، وأطلق العنان لبكائي المرهق لي.

سألتهما عن ستيل وكيف هرب من السجن.

قالت الفتاه وهي تراجع مفكرتها السوداء:

_ بعد أن قتل ستيل جميع نزلاء السجن وجد الخمسة السجناء المسببون للشغب مع شرطيان فاسدان يستعدون للهروب بهليكوبتر وقفت لهم في ساحة السجن قتلهم جميعا، وغادر بالهليكوبتر قبل وصولنا بخمس دقائق، كما أنه أخذ معه الشرطي الفاسد بين.

قالتها وهي تركز النظر إلى عيني، وكأنها تعرف كل ما بداخل قلبي وتنتقدني عليه.

إذن هو لا يقاوم الانتقام، لعلها نقطة ضعفه أو مصدر قوته، فالجميع يهاب جبروته الجميع كان يتجنبه.

بعد أن غادرا، لاحظت باقة زهور لطيفة، ودمية دب صغيرة، بجانبها سلة ملابس عليها بطاقة من صديقتي كتبت عليها

(أنا سعيدة بأنك بخير) بجانبها ورقة صغيرة من أيضا من ماري (وجدتك نائمة فكرهت أن أوقظك سأعود إليك غدا).

إنها الأفضل هي تعلم بآني أكره لباس المشفى، أخذت البيجاما وارتديتها على مهل، مازالت يدي تترجف، لكنها أفضل من يوم أمس، تذكرت الأحداث الفظيعة، فجلست على السرير أغمض عينيَ وأستعيد شجاعتي و قوتي، ارتديت الروب القطني الذي يصل إلى ركبتاي وارتديت الصندل البسيط الذي أحضرته لي ماري، خرجت من غرفتي أشد ما أحتاج إليه هما والداي الآن، أعبر الممرات بذهن شارد، أحفظ الطريق لهما ككف يدي، لا أحتاج أن أكون في كامل وعيي لأصل لهما، دخلت غرفتهما وجدتهما نائمان بعمق لا يصحوان منه، لازما بعضيهما في يقظتهما، وفي غيبوبتهما، اقتربت من أبي أولا وقبلت يده و جبينه.

_ مرحبا أبي، اشتقت إليك.

سقطت دمعتي على خده الأبيض الشاحب، خشيت أن يشعر ببكائي فمسحتها سريعا بطرف كمي الطويل.

وقلت له:

_ أنا بخير أبي، أنا فقط أحتاج إليك اليوم أكثر من أي وقت مضى.

تنحيت عنه وتوجهت إلى أمي، قبلت يدها وجبينها ثم استلقيت بجانبها على السرير، وشبكت يدي مع يدها الدافئة، إنها ملكة جمال كما يقول أبي، ورثت منها معظم ملامحي عدا شعري الأسود ورثته من أبي، لطالما أحببت لون شعرها البني.

أحسست بالأمان بجانبها فنمت بعمق.

obeikan.com

الفصل الثاني

بعد ثلاثة أسابيع...

تخللها الحزن والبكاء وتقديم العزاء لذوي الضحايا، زملاؤها في (سجن الخارقين ١٢) ثلاثون ضحية من الحراس والمدنيون، من بينهم كارين وماثيو وجاك، والعديد ممن خالطتهم في السنة والنصف الماضية، ماري حرصت على مرافقتها وعلى توصيلها بنفسها لمحطات العزاء، كثيرا ما سُئلت:

_ هل تعذبوا قبل أن يموتوا؟

تجيبهم هي:

_ أظنهم ماتوا قبل أن يكتشفوا ماذا يحدث حولهم؟

بالتأكيد هي تكذب، هي رأت ما حدث لزملائها في الشاشات الصغيرة كانوا في وسط قطع من العذاب، لكنها ترفض أن تخبرهم، ماذا سيحدث هذا من فرق، سوى في زيادة معدل أحزان وشقاء عائلاتهم.

ينتهي الأسبوع الرابع وقد انهت واجباتها نحو زملائها، لم تعد تحتاج للعمل فالحكومة صرفت لها مبلغا ضخما من المال سيكفيها لبقية حياتها، وجلسات مجانية مع طبيب نفسي موثوق، لكنها تجاهلت جلساتها معه باستمرار، اعتزلت العالم كله، وصارت تقضي ساعاتها في خدمة والديها، تغسل أجسادهم وتدلك أطرافهم، تعطرهم وتتحدث إليهم بلا كلل أو ملل، تذهب لمنزلها فقط لتستحم، وتغير ملابسها، تنام قليلا ثم تعود إلى المشفى.

وفي ليلة أحد روتينية هادئة، تستعد آستر لمغادرة شقتها بعد أن تتأكد من محتويات حقيبتها.

_ زوج من الجوارب ومنامة جديدة لكل منهما جيد.

تفتح الباب لتتفاجأ بمنظر شاب مألوف لها، رجلا أنقذها من براثن العذاب والموت، رجلا غادرها بعد أن اخذ بثأرها، ستيل هارت الامبراطور المطلوب، كان يرتدي بنطال جينز أسود ومعطف أسود أكبر من حجم جسده مرتين يغطي رأسه بقلنسوة المعطف، يدخل إلى الشقة ويقفل الباب وراءه، يلقي بنظرة متفحصة عليها، ويسألها بقلق:

_ هل أنت بخير؟

آستر مصدومة منه، كانت تظن بأنه رحل إلى موطنه منذ اليوم الأول.

_ ظننت بأنك رحلت.

أمسك بكلتا يديها، وهو منفعل بحبه لها:

_ وهل تولد الطيور بلا أجنحة، وهل تنبت الأشجار بلا ماء، وهل تمطر السماء فئرانًا وجرذانًا.

سكتت آستر لم تعرف بمَ ترد لعل الجنون أصابه حقا! لكنه لم يتح لها الفرصة حتى للتفكير فقال:

_ لا لا لا، يا آستر وكذلك رحيلي دونك يا حبيبتي.

يخرج علبة مخملية صغيرة من جيب معطفه ويفتحه لها، فيظهر خاتما صنع من الذهب الأبيض توج بياقوتة بحجم حبة كرز.

قائلا بحب وحماس هائل يسكن صدره:

_ تزوجيني يا آستر، سنهرب إلى إمبراطوريتي وسنعيش هناك إلى الأبد.

_ وماذا عن والداي؟

رد وهو يشد على يداها أكثر وأكثر:

_ لدينا أفضل المستشفيات، لدينا العلم ولدينا أطباء متخصصون، نجحوا في إيقاظ الآلاف بتقنياتهم الغريبة والجديدة، بالطبع هم يشرحون لي لكنني أتظاهر بالفهم، إنهم أفضلا حالا معنا.

هي بالفعل تريد حياة معه، لكنها تخشى أن توسم بالخائنة في العالم أجمع!

_ سأكون خائنة في نظرهم.

_ في نظر من؟ في نظر صاحب المبنى المتهالك الذي سكنتي به؟ أم مدراء السجن الذين يتجاهلون نقلك باستمرار؟ لا يوجد شيء هنا لك، تعالي معي سترين عالم من التطور، عالم من الرقي، سيكون لنا قصر على الشاطئ ومراجيح معلقة على الأشجار، وربما طفلين صغيرين يفسدون صباحاتنا بالقفز على السرير.

_ وماذا عنك أستستمر في عدائك للدول الأخرى؟ هل ستكون في صراع دائم معهم؟ سنواجه دوما خطر الحرب.

_ لا لا مزيد للتوسع، سنعلن الاستقرار وسنطالب بالاعتراف بنا كدولة مستقلة سنطالب بالسلام لدينا خطط كبيرة و...

نجح في إقناعها أراها مستقبل كجمال أقواس المطر، مستقبل لا تعب فيه مستقبل حيث تكون إمبراطورة فيه.

شدت على يده وقالت وحماس الدنيا يشع من عينيها، ولأول مرة ينكسر حاجز حيائها من ستيل، ولأول مرة تشعر به وكأنهما خُلقا ليعيشا سويا.

_ نعم موافقة سأتزوج بك.

لم يصدق أن نطقت بنعم حتى احتواها برفق خشية أن يؤذيها مع تدفق عواطفه.

_ أخيرا يا آستر سيتحقق حلمي، حلمي الذي نما منذ أن رأيتك والذي يستولي على تفكيري حين أراك أو أسمع صوتك أو ألامس يدك.

وشدها إلى أقرب نافذة وفتحها فأنعشهما النسيم البارد المتدفق منها.

_أمستعدة للطيران آنسة آستر.

تراجعت بقوة وقالت له بوجه ممتقع.

_ لا أقدر، أنا أخشى المرتفعات.

قال على الفور:

_أغلقي عينيك، وسأحملك إلى طائرتي، أنها مخبأة في موقع سري، لن يأخذ الأمر إلا...

قررت أن تجبر ذاتها على المحاولة، فقاطعته مسرعة قبل أن تغير رأيها:

_ حسنا موافقة.

فكرت أن تحاول وأغمضت عينيها، لكن ما إن حملها على يديه إلا وشعرت بالرعب يزلزل قلبها، ويرهق خيالها فصرخت به.

_ ستيل توقف الآن.

قال ببراءة بعد أن أنزلنها برفق:

_ لكنني حتى لم أمش خطوة واحدة.

_ تكفي الفكرة لتخلق ذعرا داخلي يكفي ليشل قرية بأكملها.

علت أصوات سيارات الشرطة التي تتسارع بالارتفاع.

قال ستيل بجدية:

_ علينا الذهاب الآن، سيكونون بالأسفل خلال دقائق.

قالت له عله أن يخلصها من موضوع التحليق في السماء.

_لنسرق سيارة أحد الأغنياء هنا.

قال وهو يجرها الى خارج الشقة بابتسامة خبيثة:

_ وهاأنا أفسد آستر المثالية.

obeikan.com

عبرنا الممر ودخلنا المصعد فوجدنا جاري السيد مالكوم يقف بتعجرف كعادته يلبس الفاخر من الثياب بدلة رسمية قاتمة من أرماني ربما.

قال له ستيل بلهجة آمرة:

_ أعطني مفتاح سيارتك.

لكن السيد مالكوم قال باحتقار

_ ولمَ أفعل ذلك؟!

همست في أذن ستيل:

_ إنهم اغنياء لعلهم أخذوا الحقنة التي تمنع تحكم الخارقون بهم.

قال ستيل بضجر:

_ يا له من اختراع فاشل.

لم أمنع نفسي من الابتسام فبدا ظريفا وهو متضايقا، لكنه فاجئني بوضع يده على عنق الرجل مهددا رافعه بضع إنشات إلى أعلى قائلا بصوت أكثر قوة وأكثر تسلطا:

_ أنا لا أكرر ما قلته.

أمتقع وجه الرجل بشدة، وقال مفرغا جيوبه ملقيًا بمفاتيحه على الأرض:

_ خذها إنها هدية، ألست أنت الامبراطور، فقط دعني وشأني ولن أخبر أحدًا.

قال ستيل باستحقار بعد أن التقط المفتاح وغادرنا المصعد:

_ أخبر من شئت.

وأكمل بعد أن أُقفل المصعد ليهرب مالكوم مذعورا إلى منزله.

_ انتظري هنا سأعود بالسيارة.

لم تصل بعد سيارات الشرطة أو ربما أنهم يحاصرون المبنى اختفى ستيل من بين السيارات ليعود بعد دقيقة بسيارة رياضية حمراء ويركنها أمامي مختالا، دخلت ووجدتها تفوح بعطر السيد مالكوم المعتاد مفعما بالقوة والإثارة، مثخنا بالمغامرة والاستهتار، أظنه عطرا مناسبا لستيل، لم يبدو رائعا على السيد مالكوم كما هو على ستيل، نعم فقط ستيل من يليق به كل ما هو جذاب

أم أن قلبي يحكم بلا موضوعية، توقعت بأنه سينطلق ما إن أجلس لكنه ظل يفتش في أدراج السيارة وجد نظارة باهظة الثمن فارتداها وابتسم بجاذبية، قائلا:

_هل تناسبني؟

رفعت حاجباي مشدوهة من برودة أعصابه.

_ جدا!! ألسنا في عجلة من أمرنا.

ضاقت عيناه ثم قال:

_ الجميع في أماكنهم، الآن.

لم أفهم ما يقول إلا أنه بدا يستمع لأحد ما، فخمنت بأنه يحتفظ بجهاز اتصال يدسه في إذنه.

بدأت أصوات سيارات الشرطة بالخفوت إنه ينجح في خطته المجهولة، يلتفت إلي وهو يضغط على دواسة الوقود لتزمجر السيارة، وكأنها تحمل في قلبها غضبا متأججا.

_ هلا قصصت لك حكاية صغيرة فقط لنكون واضحين.

لم أكن واثقة بأن الوقت قد يمنحنا الرفاهية لسماع حكاية من فم ستيل، لكن هو الوحيد الذي هرب من السلطات أكثر من مئة مرة، أنا أعلم إن كان هناك من سيفعلها بالطريقة الصحيحة سيكون هو، أعطيته إيماءة خفيفة موافقة على طلبه.

جال بصره أنحاء المواقف الإسفلتية التي تكاد تخلو من السيارات الفارهة حولنا، وقال وكأنه يتخيل الحدث أمامه:

_ عندما كنت في الرابعة من عمري تعرفت على صديقي الأول، فكنت قبلها أعيش بعزلة عن الجميع مع والديّ في الغابة نختبئ عن أعين السلطات، والدايّ لم يثقا أبدا بالسلطات، بعدما كشف أمرنا انتقلنا إلى حي راقي وأُعطينا منزلًا واسعًا، وعرض على والدي وظائف عدة برواتب مرتفعة.

كنت انطوائيا بطبيعة الحال فأنا لم أرى أطفالا منذ أن ولدت، "جوش" الصبي الذي يجلس في طرف دائرة ألعاب الحديقة العامة، كان منبوذًا في الحي، كان طفلا عاديا إلا أنه يتحدث كثيرا، يتحدث مع الهواء كما يقول بقية الأطفال الذين يبتعدون عنه بمجرد أن يخطوا نحوهم، البشر هم هكذا تخيفهم الأشياء الغريبة، لكنني كنت طفلا قويا لم أخف منه ربما لأنني أعلم بأنه حتى لو أراد أذيتي هو لن يقدر، وفي يومي الأول في الحديقة اقتربت منه وسألته بفضول:

_ لما تتحدث مع الهواء؟

عبس جوش حانقا وقال:

_ ليس هواءً، إنهم أصدقائي مورقان وروبرت.

_لما لا أستطيع رؤيتهم؟

_ إنهم يخشون الجميع عداي.

كنت أنا أيضا غريبا بين الأطفال، فاعتقدت حقا أنهم يخافون قوتي.

_ أنا لن أؤذيهم.

استطعت على الفور الدخول إلى دائرة ثقته، فقال مقترحا لي بعرضه المغري:

_ هل تريد أن تلعب ألعاب الفيديو؟

تحمست كثيرا إنها المرة الأولى التي أُدعى فيها للعب فجريت مسرعا إلى أمي واستأذنتها، وافقت بشرط أن تتعرف على عائلته.

ذهبنا الثلاثة إلى منزل جوش وتفاجأت والدته بنا، إنها المرة الأولى كما قالت التي يعود بها جوش مع صديق، أصبحنا أفضل صديقان في الحي، وأمهاتنا كذلك، لكن مع مرور السنين كانت حالة جوش تسوء أكثر فأكثر أصبحت الأصوات عدائية لكنه يعود بخير حين يلتزم بعلاجه، وكان هذا نادرا ما يحدث، حين بلغنا الرابعة عشرة انعزل جوش كليا عن العالم حابسا نفسه بين جدران غرفته.

وأنا انجرفت في هواية انتشرت تلك الأيام مع لمستي الخاصة.

كنت أُصلح السيارات الخربة لتمتلك سرعات خيالية لغرض السباق، وبعد أن أسابق بها مع شبان المدينة المتعطشون للإثارة مثلي لا يهم إن فزت أو خسرت، أصدم بها جدارا غليظا أو أسقط بها من على جرف عال، وفي الثواني الخمس الأخيرة، أخلص نفسي وأحلق بعيدا لتنفجر أمامي، وقد علا هرمون الإدرينالين في جسدي ليخفق قلبي سريعا ويصير تنفسي مضطربا، كنت مدمنا للإثارة، المغامرة، والحياة المهددة بالخطر.

وفي سباق أذكره إلى اليوم وكأنه حدث بالأمس، سباق عنيف، الطبيعيون يخاطرون بحياتهم والخارقون يتسلون بوقتهم، كان سباقا وحشيا، لم أفز فيه لم أهتم حقا للفوز، كل ما أرغب به هو أن أكمل إلى جدار المبنى المتهدم، لأرى منظر سيارة تتحطم تحت أرجلي وتشتعل نارا، وخلال الخمس الثواني التي كنت أخلص نفسي فيها سمعت صوت مألوف يقول:

_ أراك لاحقا ستيل.

نظرت للمرآة المعلقة أمامي أنه جوش غطى نفسه بقماش أسود مهترئ كي يختبئ عني، جالسا بسلام خلف مقعدي مبتسما للموت كنت قويا، وسريعا لكن ليس إلى درجة إنقاذه، قفزت من مقعدي إليه، عيناي تحمل تساؤلا ويداي تنزع حزام أمانه، يقول هو قبل أن نرتطم سويا في الجدار:

_الأصوات قالت ...

وتحطمت السيارة، شعرت بالحديد يخترق بضع سنتمترات من جسدي كاد أن يخترق رئتي، لكن جوش تأذى بشدة في الثواني الأولى خلال الاصطدام، اخترق الحديد جسده، وكأنه ورقة مزقت بمقص حاد، وشهق هو بين يدي ثلاث شهقات قوية قبل أن يخمد جسده.

يشد على يدي وعيناه المختفيتان خلف النظارة الشمسية تخفي آلاما وأحزانا مريعة.

_ لن يتكرر الأمر، لذا إن اقتضت الظروف قد أفعل ما يرعبك كيلا يتحقق ما يرعبني.

ثم مسح وجنتي بلطف بباطن كفه الدافئ وابتسم بحزن:

_ لن أحتمل خسارتك يا آستر.

أحتقن صوتي وأنا أحاول الرد عليه، الألم الذي يشعر به الذنب الذي يحمله على عاتقه لا يحتمل، لن أزيد عليه حملا آخر.

_ افعل ما يلزم عليك فعله، فأنا ائتمنك على حياتي.

أخذ كلماتي الأخيرة وكأنها تذكرة خروجنا من هنا، فانطلق بالسيارة نحو بوابة الخروج ومن حسن حظنا كان المسار فارغا، قال وكأنه يتحدى نفسه:

_ لنرى إن كانت قد صدئت.

لم أكن خائفة في الحقيقة فطالما الأرض لا تبعد عني سوى خطوة خارج السيارة، رغم أن عقلي يقنعني بسهولة الهروب تحليقا من هنا، لكن قلبي لا يحتمل فكرة الموت ارتطاما بالأرض، من على علو شاهق، المنظر الذي صمد في مخيلتي منذ خمسة عشر عاما، انتحار الغريب المفاجئ وسقوطه على بعد أمتار قليلة مني، قدمه اليسرى تحركت ثلاث مرات بسبب الأعصاب المتضررة، كان رجلا ضخما امتلك الكثير من الدماء الكثيفة التي سالت، وكأنها طبقة واسعة من الدهان الأحمر، صراخه المشحون بالخوف، الذي بالكاد وصل لأذني وأسكته الارتطام سريعا، كانت لتكون مصادفة غريبة إن كنت سأسلب حياتي بالطريقة نفسها، ممتنة لوجوده هناك، أدين لستيل وكونر بحياتي، بنبضات قلبي المتعطشة للحب، ولأنفاسي المستمرة بضخ الحياة إلي، لروحي الملتصقة بكل خلية من جسدي.

ينعطف ستيل بالسيارة يمينا، فنقترب سريعا إلى الطريق العام المؤدي لخارج المدينة، يسابق السيارات بضراوة، كان وجهه باردا وكأنه لا يهتم، القلق يرفع من حرارة جسدي ويزيد من سرعة تنفسي، أتشبث بمقعدي ويمنحني هذا شيئا من الأمان.

مرت ساعة حتى خرجنا من المدينة، صار الطريق سالكا وشبه خالٍ من السيارات، يقطع الهدوء هو:

_ لدي مطار سري صغير بعد ساعتان من هنا هل تتوافقين مع الطائرات.

_ نعم، ما دمت لا أرى الأرض والسماء من خلالها.

خلع نظارته ويثبتها على قميصه ثم يغمز لي بعينه اليسرى.

_ يمكننا تدبر هذا الشرط.

بعد عشرة دقائق تفاجئنا أنوار سيارات الشرطة على بعد خمسة كيلوا مترات على الأقل.

يعقد ستيل حاجبيه ويتأفف بانزعاج:

_ جهزوا لنا استقبالا ملكيا.

اصطفت سيارات الشرطة ثلاثة صفوف أفقيا، وحام فوقها الرجال الخارقون بكثافة، شعرت وكأننا دخلنا إلى فخ عسر كان من الممكن تجنبه لولا عنادي المقيت:

_ هل سيتمكنون منا؟

ضحك ستيل بثقة:

_ من؟ هؤلاء؟ بالتأكيد تمزحين!

صدمتني ثقته لكن عليّ أن أؤمن بخططه وباحتيالاته التي يكيدها لهم.

_ حلي حزامك الآن.

وضغط على دواسة الوقود لننطلق بقوتنا كلها نحوهم، حللت حزامي وأنا أرانا نقترب من موت محقق، لا أريد لقصة جوش أن تتكرر بي!

يفصلنا كيلوًا فقط عن الارتطام،

أنفاسي تضطرب

(تسعمائة مترًا)

نبضات قلبي تشتعل داخل صدري

(ستمئة متر)

أصابع يدي تغوص في مقعدي حتى أكاد أشعر بها تتكسر

(مئتا متر)

ألتفت إليه وأتفحص وجهه المركز على أسطول الشرطة أمامنا، جبينه المتعرق، أنفاسه المضطربة، عيناه التي ضاقتا، يداه القابضتان على المقود الذي ألتوى تحت أصابعه.

(عشرون متر)

لم أصبر أكثر أتخيل الأسوأ يحصل فصرخت باسمه:

_ ستيل سنموت.

وبسرعته اللامنطقية، لم أشعر بنفسي إلا وهو يحملني على يديه، وسط الظلام، اختفى كل شيء كان حولنا، سيارات الشرطة، الرجال الخارقون، بين السماء والأرض نحلق، شعرت بالدوار الفظيع في الثانية التالية من توقفنا، فتمسكت به بشدة وأرحت رأسي على صدره حتى زال الدوار، وسألته:

_ ماذا حدث؟

قال وهو ينزل بنا إلى الأسفل بروية:

_ في الحقيقة لا أدري لكني أتكهن بأن النصف الأول يبحث عن جثتين، والآخر يمشط المنطقة في دائرة قطرها خمسة أميال من مركز السيارة، إنها السرعة التي جعلتهم يسجلونها علي.

أقف على الأرض العشبية المبتلة أدور حول نفسي لأكتشف أين نحن، أرى مزرعة هائلة، تبدو لي وكأن أشجار التفاح تمتد حولنا في خطوط عامودية إلى ما لا نهاية.

أتذكر الأفراد الخارقون الذين قد يجدوننا في أي وقت، التفت إليّ ستيل وأنا آمل أن تكون لديه خطة، أقترح عليه.

_ علينا أن نختبئ.

يجلس هو تحت أقرب شجرة تفاح منه خالٍ من الهموم

_ اهدئي جميلتي، نحن على بعد خمسون ميلا، إنهم لا يعرفون إلا ما أريدهم أن يعرفوه.

اطمأنت نفسي فجاورته في الجلوس بجانبه اتكأت عليه، أسندت رأسي على كتفه، وأشبك يمناي بيسراه قائلة:

_ أنت حقا سريع.

سكت لدقيقة ثم سألت بفضول:

_ ماذا الآن.

أغمض عيناه مستمعا لصرير الجنادب السامرة، ثم صفر لحنا شجيا بشفاهه، كدت أن أطلبه أن يعيده لولا الأنوار التي أضاءت المزرعة بأكملها وعلا صوت سيارة من بعيد.

_ سنرحل إلى الوطن.

كررت بصوتٍ خافت:

_ الوطن.

أثارت الكلمة عواطفي وشعرت بخيانتي تحفر قلبي، أحس هو بتغير مزاجي، اعتدل في جلسته ورفع يدي اليمنى إلى فمه برفق مقبلها، ثم وضعها على صدره بحنان لأشعر بدفء صدره، وعمق حبه لي، نظر إلي بعينين خاشعتان، ليتغير رأي في كلمة وطن قلتها بلا تردد:

_ وطني هو الموضع الذي يجاورك.

هدأت ملامح وجهه وقال ممازحا:

_ لثانية ظننت بأنك ستتركينني.

هذه المرة أنا رفعت يده إلى شفتيّ وقبلتها، بجواره هو وحده من يشعرني بأنني امرأة كاملة، هو من يمكنني الاعتماد عليه دائما وأبدا.

_ سيتحتم عليهم أن يكبلوني بأثقال الحديد ليبعدوني عنك.

حطت طائرتنا الصغيرة في مطار الإمبراطورية

رحلة استغرقت اثنتا عشرة ساعة، قضيتها كاملة في سبات عميق ولم تكن كافية لي، أيقظني ستيل بقبلة على خدي، فتحت عيناي على وجهه الذي يشع صحة، إنه لمن المزعج أن يبدو مثاليا على الدوام، متأكدة بأنني على خلافه مرهقة وعيناي منتفختان بسبب نومي الطويل، يتأملني بعينيه السوداوين العميقتين وكأنهما عالم من ظلام.

_ صباح الخير أميرتي إمبراطورتيك في انتظارك.

اعتدلت ببطء في مقعدي وتسللت إلي مشاعر الرهبة.

_ الآن؟! كيف سأواجههم؟

قال وهو يعاونني على الوقوف برفق:

_ سنواجههم كما سنواجه الحياة، سويا.

أدخل عليهما، يرقدان في غرفة واسعة جميلة الأثاث تزين بالورود الطبيعية، يتم تغييرها كل صباح كما يتم تنظيف الجناح كل يوم العاشرة صباحا، تعلو أصوات زقزقة العصافير من جهاز صغير في ركن الغرفة صباحا، وفي المساء أصوات أمواج البحر الهادئة، إنها من ضمن الأولويات في العلاج الطبيعي الذي يتبعه الطبيب روبنسن، وساعة في اليوم يقضيها أحدهم للقراءة لهما أو الحديث معهما، ويفضل أن يكون من المقربين لهم، كان هذا دوري في العلاج أزوروهم كل ظهيرة وكل مساء للحديث معهما، وملامستهما بحب وتقبيل جبينيهما الدافئين، لم أتغيب منذ أن بدأنا العلاج، ووجدنا نتائج جيدة، كما يقول الطبيب روبنسن.

أقبل جبين أبي أولا...

_ أوه يا أبي، أتعلم أن ليلة البارحة كانت حفل زفافي، هل تعلم بأني تزوجت بإمبراطور وها أنا إمبراطورة.

ابتسمت له وكأنه صاحٍ يصغي إلي:

– في الحقيقة إنها غلطتك يا أبي، ألم تقل دوما بأني أميرة ولن يليق بي إلا ملك.

ثم قبلت جبين والدتي وخللت شعرها الحريري بأصابعي لدقائق،

_ أوه يا أمي الحياة هنا خالية من الهموم، لا خوف من الغرباء ولا سجن ولا مساجين، أشعر بالأمان هنا كما لو كنتما مستيقظان بجانبي.

ثم جلست على الكنبة الوثيرة الحمراء التي تنتصف سريريهما وشرعت في الكلام:

_ وصلنا هنا قبل سبعة أيام، وددت لو كنتم معي في يوم زفافي لكنت أكثر سعادة.

احتفلت الإمبراطورية كلها ليلة البارحة بزفافي، ورأى العالم كله مراسم الزواج مباشرةً، بثت الكاميرات الحفل على معظم قنوات العالم، بعد أن قطعنا كيك العرس الذي كان ضخما وأبيضا، مزينا بورود السكر الوردية والصفراء، مزخرفة بنقوش عصرية ذهبية، بلغت العشرة أدوار هل تصدقون هذا! بعدها عبرنا في شوارع العاصمة بسيارة ليموزين بيضاء مكشوفة مزينة بأزهار اللوتس البيضاء، الزفاف بأكمله زين بها، باقتي جمعت فيها أزهار الياسمين العطرة والسوسن الجميلة لا كبيرة ولا صغيرة، الحجم الذي يناسبني كما قالوا...

وفستاني يا أماه آه لو رأيته كنت مركز الكون تلك الليلة، كنت أرتدي فستان أبيض عاري الأكتاف، يضيق من الأعلى وحتى خصري، فينفش بطبقات من قماش التل، زين القسم العلوي منه بحبات من اللؤلؤ الأبيض مع زخارف دقيقة بخيوط فضية، ارتديت طرحة مكملة لجمال فستاني مطرزة بخيوط فضية، زين شعري بتاج ألماسي باهر، وعنقي اختال بعقد ألماسي مثير، كم كنت أشعر بأنني ثمينة تلك الليلة تحت كل ذاك الألماس الذي زين مظهري، ستريان كل هذا عندما تصحوان.

وستيل بدا رجلا مرموقا، لم يكن يشبه الشاب المسجون الذي عهدته إلا في ابتسامته، وقلبه الشغوف كان محترما من الجميع، محبوبا من الكل، يأمر بثقة وينهي بحزم، مطاع في كل أمنية وحاجة.

أرتدى حلة زفاف سوداء، وقميص أبيض متألقا بربطة عنق سوداء، كان فاتنا ومتعجرفا بعض الشيء، لكني لم أمانع فلهذا وقعت في حبه، كان فرحا فخورا بي يقبل يدي كل ساعة، ويهمس بسعادته بي كل عشر دقائق يتصرف وكأن لا أحدا حوله سواي، كنت عاشقة ومعشوقة بجانبه.

في السيارة حيينا من قبل الشعب كانوا سعداء يرتدون أجمل الثياب، مهذبون يصفقون ويصفرون، وأطفالهم ينادون باسمي رغبة في لفت انتباهي، فأشير إليهم بيدي، لثلاث ساعات في شوارع العاصمة الواسعة ذات المباني الشاهقة جلنا.

لم أرى عاصمة عادية بل وكأننا في كوكب آخر، الأجهزة الطوافة التي تحمل بضائع بائعي الأطعمة السريعة أثارت دهشتي، وصورنا المتحركة على البنايات الشاهقة نالت إعجابي، انتهى زفافي بعد غروب الشمس بساعة.

عاد الجميع إلى منازلهم بعدما تم زفنا إلى قصر الإمبراطور المطل على بحيرة كبيرة بهية المنظر.

لم يبق سوى الحرس الإمبراطوري.

كنت أسعد عروس في العالم إلا أني دونكما كنت أتعسهن.

لم أكن أظن أن السعادة والحزن قد يجتمعا في قلب واحد بليلة واحدة!

تلك الليلة وصفت بأجمل عروس إلا أنني وصفت أيضا بعروس الشيطان.

انبهر الناس بطلتي لكنهم أيضا حكموا علي بقسوة فقالوا عني

القاسية، المذنبة، الخائنة!

توعدتني جميع الحكومات بالسجن، وصرحوا بغضب عن تخليهم عني كمواطنة.

كان من المفترض ألا أتأثر بهم لكنني فعلت، إنه لمن المحزن أن أخسر وطني، فجزء من قلبي يرفض قراراتهم ويعترض عليها عبثا.

ساعتي الذهبية تشير إلى الثالثة مساء، علي أن ألحق باحتفال صغير نقيمه في قصرنا ليعرفني ستيل إلى العالم المخملي الخاص بنا، الكثير من الوزراء وزوجاتهم وأهم العلماء والجنرالات وذويهم.

قبلت جبينهما وودعتهما ووعدتهما بعودتي لهما في الصباح الباكر.

أرتدي فستان أبيض أنيق بقصة للرقبة، بالكاد طوله يغطي ركبتيّ، صنع بالكامل من الدانتيل الفاخر، وتحته طبقة من الحرير الأبيض الناعم، زينت عنقي بقلادة ماسية تتوسطها قطعة كبيرة من الياقوت الدموي، الذي قص باحترافية على شكل قلب، وارتدي حذاء ذو كعب منخفض أبيض، فهذه المرة سأمشي كثيرا قبل أن ينتهي الاحتفال، اعتنت بي خبيرة التجميل جيدا فزينت عيناي برسمة فرنسية أنيقة على طول رمشي باللون الأسود، والقليل من الحمرة على الوجنتين واللون الوردي الساخن على شفتيّ، طلبت منها أن ترفع شعري إلى الأعلى وتزينه بتاج الماسي صغير.

نزلت إلى الدور الأول حيث الاحتفالات تزدهر بالمدعوين في مختلف الأعمار، صالات الرخام تسطع بياضا ولمعانًا تحت أحذية الضيوف، وجدران القصر تتزين باللوحات الهائلة في حجمها بمختلف الألوان والصور، الخدم يدورون بصواني مليئة بالمشروبات والمقبلات بنشاط، ستيل هناك يرتدي حلة كحلية أنيقة مع قميص أسود وربطة عنق سوداء ينتبه إلي فيقطع حديثه وتتوقف أفكاره، إنه يتأملني بسكون ثم يتقدم إلي بخطوات واسعة ويمد يده إلي، أنزل آخر درجتين بمساعدته يقبل جبيني بحنان، ويلف يده حول خاصرتي ويهمس إلي وهو يشدني إلى مجموعة من ضيوفه:

_ ظننت بالأمس بأني رأيت أنقى مراحل الجمال وها أنت تظهرينني مخطئ الليلة.

سايرته في مشيه وهمست له بدلال:

_ وكل ليلة سترى جمالا أعذب من سابقته.

رفع حاجبه الأيمن معجبا بي ثم قدمني إلى ضيوفه:

_ زوجتي الحبيبة آستر جون.

ثم أشار إلى ضيفاه بابتسامة لطيفة

_ الجنرال وليام أديسون وزوجته ميريام أوبراين.

الجنرال يرتدي حلة رسمية سوداء مزينة بالنجوم والميداليات، وزوجته قصيرة ممتلئة بعض الشيء، شقراء جميلة لها صوت نحيل ترحب بي، وهي تنحني بلطف:

_ مرحبا بسعادة الامبراطورة.

ثم أشار إلى الرجل الآخر

_ وزير العلوم والأبحاث السيد إيزك نورتان وزوجته نورما كروز.

ابتسم لي الوزير فيما انحنت السيدة باحترام:

_ إنه لشرف اللقاء بك سيدتي.

أحسست بالحرج الشديد منهم وقلت لهم باستحياء:

_ الشرف لي سادتي.

يسحبني ستيل بعيدا بعد أن يستأذنهم، ويأخذنا إلى شرفة واسعة يقول بصوت منخفض

_ والآن سأعرفك إلى أهم عالم في العالم، إنه السبب الرئيسي في تقدم الإمبراطورية خمسون بالمئة من الاختراعات من تحت يده.

كان الرجل يختفي في الظلمة بعيدا عن بقية المدعوين، ذا حركة غريبة وكأنه يتجادل مع أحدهم بهمهمات غير مفهومة، وصلنا إليه وصار واضحا لنا، قال ستيل بمرح:

_ أمازلت تتعارك معهم يا جوش؟

ألتفت إلينا شابا يبدو في عمر ستيل، في منتصف العشرين على وجهه ندبة واضحة تمتد من أخر حاجبه تزداد عمقا عند خده الأيمن وتختفي تحت ملابسه، له شعر ذهبي وعينان خضراوان حادتان، يرتدي بدلة بيضاء بربطة عنق كحلية، أهو الشاب الذي حكى عنه ستيل في السيارة، هو عانق ستيل فرحا بقدومه وقال بمرح بعد أن افترقا:

_ من روبرت ومورغان مازالا يمتلكان أصلب العقول على وجه الأرض.

بدا لثوانٍ يستمع لأحدهم ثم يضحك:

_ حسنا، أنا أعتذر يا مورغان وروبرت، لن أتحدث عنكم أبدا.

كنت مشدوهة حينما عرفه ستيل بي!

_ زوجتي آستر جون.

ثم نظر إلي وكأنه يقدم لي مفاجأة سعيدة، وقال مشيرا إلى جوش:

_ صديق الطفولة جوش إيفانز.

توترت صافحته دون أن أنطق أصبت بشلل في لساني، تلك اللحظة فهم جوش الموقف، وقال:

_ أوه هل أخبرك بقصة السيارة والأصوات، وتجاهل الجزء الأهم من القصة، المعذرة فستيل يحب أن يشهد تأثير الدراما على الآخرين، أنا كما ترين بصحة ممتازة، فقدت ساقين لكن ستيل أهداني هنا ساقين أقوى مئة مرة عن الساق العادية.

أردت أن أخنق ستيل، فرمقته بنظرة جانبية حادة، وهو أغرق نفسه في نوبة ضحك قصيرة، قلت لجوش مفتعلة العصبية.

_ أتمنى ألا تمانع لكني سأقتل صديقك الليلة، لذا عليك أن تودعه الوداع الأخير.

قال ستيل بلهجة تحدي مبتسما بثقة:

_ حقا، أتعلمين إن فعلتِ سيلقون بالقبض عليك بلا تأخير.

قلت وأنا أعانده أكثر:

_ سأرحب بكل ما يتبع متعة قتلك.

علا صوت منادٍ يطلب ستيل فاستأذننا وغادر ملبيا لهم.

عاد جوش يتكئ على سور الشرفة الحديدي، وقال بصوت هادئ:

_ ستيل أنقذ حياتي، كنت أريد الموت أكثر من أي شيء آخر، الأصوات كانت لا تحتمل، كان تعدني بالمغادرة فور موتي ووعدتني أيضا بإعادة إحيائي، بعد الحادث عشت في مصحة عقلية، لكنه كان سجن بائس، الأطباء ذو الطباع المثالية أمام أولياء الأمور وحقيقتهم الدنيئة تظهر فيما بيننا، عشت الجحيم بعينه هناك تحت ظلمة الجور، حتى عاد ستيل إلي بخطة مجنونة، عاد بعد ست سنوات، وقال بأنه أسس إمبراطورية عظيمة وأنهم وجدوا لي سبب آلامي وعلاجا فعالا، أتدرين بماذا رددت عليه!

وجدت نفسي أسأله على الفور:

_ ماذا قلت؟

ضحك قليلا، ثم قال:

_(ويقولون بأني المجنون هنا، عليهم أن يفسحوا لك مكانا هنا بجواري يا صديقي).

ضحكت بعفوية على كلماته الصادقة في ذلك المكان، أكمل هو...

_ ظل يقنعني حتى الصباح، واقتنعت بكلامه وجئت إلى هنا جاهلا، وأصبحت اليوم عالما، أخبروني بأني أنتمي لفصيلة نادرة من العباقرة، بأني أمتلك عقلا يعمل بسرعة ضوئية مقارنة بسرعة الدراجة الهوائية، هذا الفرق بيني وبين بقية العباقرة، قالوا

بأن عقلي يعمل فوق طاقته لذا خلق ثلاث شخصيات متناقضة ولأنني لم أتقبل الأمر وتركت العلاج أصاب كل فرد في داخلي غضبا عارما وانعكس هذا علي، من المفترض أن أتناول علاجا بسيطا يجعلني الرئيس هنا، وصاحب القرارات، وهما مجرد زملاء عمل، مستقلون بشخصياتهم متنوعون في تخصصاتهم كل منا درس فرعا من فروع الهندسة، تقبلتهم وهم في المقابل تقبلوني، بل وهم يعاونوني في اختراعاتي!

كنت مشوشا في السابق مضطربا لكنني الآن متزنًا وسعيدًا هنا.

كان جميلا ما يقوله جوش، هاهو يبدو سعيدا هنا، لمَ لا، أنا أسعد هنا، ولدي زوجي الذي أحبه، ووالداي في عناية صحية فائقة، قلت له:

_ هذا لطيف يا جوش، ربما أنا أيضا أسعد هنا.

يبدأ مشغولا قليلا، ويتمتم بصوتٍ وكأنه يتحدث مع أحد رفيقيه.

ينظر إلي، ويقول مترددا حرجا بصوت منخفض:

_ مورقان يريد أن يخبرك بشيء.

اقتربت منه خطوة.

_ إني مصغية.

يهز رأسه جوش مستنكرا، ويبتعد قليلا عني ملقيا ظهره إلي، ويقول بصوت علا بعض الشيء:

_ أنت مجنون يا مورغان حتما ستخيف الفتاة، حسنا حسنا سأخبرها.

عاد جوش إلي وقال بابتسامة محرجة، ووجهه قد امتقع قليلا:

_ أنا لا أصدق بالطبع لكنه مصر على نظريته الغريبة لن يكف عن إزعاجي حتى أخبرك بها.

وأخذ وضعية المعلم، وقف باستقامة، ومد يده في الهواء، وبدأ يشرح:

_منذ زمن بعيد علمنا نيوتن، أن لكل فعل ردة فعل، ماذا لو أن هناك أمرا هائلا مرعبا سيحدث في العالم، ونحتاج بسببه كل هؤلاء الخارقون للنجاة منه، ماذا لو كان هناك عصرًا جديدًا عسيرًا، لن ينجو منه إلا الخارقون؟ ماذا لو كان الخارقون ردة فعل لفعل لم يحدث بعد؟

شعرت بالتهديد فتراجعت إلى الوراء وأمتقع وجهي أنا الأخرى، إنه اليوم الثاني من زفافي، وهذا يتحدث عن نهاية العالم قلت بصوت مرتجف:

_ هذا مريع، ماذا لو كنت محقًا؟

أشار بيديه الاثنتين نافيا بحماس مبتسما يحاول طمأنتي:

_ لا لست أنا، بل مورغان. إنه واسع الخيال له أفكار مجنونة كثيرة، لكن هذه استقرت في رأسه الثخين.

نظرت إلى الأفق، إلى المدينة المطمئنة النائمة، ماذا لو كان محقا؟ أليس من الحكمة أن نفكر في الحلول قبل وقوعنا في المشاكل؟ سيكون من الأسهل أن نتجهز للكارثة قبل حدوثها بدلا من التفاجئ بها، والتشتت أثناء التعامل معها، سألته باهتمام:

_ وماذا يظن مورغان؟ ماذا علينا أن نفعل؟

علت على فم جوش ابتسامة مجنونة، إنه يستمع لحديث مورغان، وقال بعد دقيقتين من الإصغاء:

_ الكثير.

يعلونا بدرا ويغيب، ثم يعلونا آخر ليعود فيختفي، تمضي الأشهر ونحن ننعم بأحضان مملكتنا الدافئة، السلام عم العالم تقبلتنا جميع الدول، و أخيرا أُعتُرِف بنا كدولة مستقلة، في المقابل بدأت بيننا وبقية الدول عمليات التجارة، وأصبحنا الرقم الأول في تصدير الأدوية والأجهزة المتطورة، التي اكتشفها علماؤنا ومعاملنا، لم نبخل إلا في مجال واحد، المجال الذي لا يمكن حتى النقاش في إمكانية التنازل لهم عنه، مجال الأسلحة والأجهزة الحربية، أحجار الجحيم الذي سبقهم ستيل إليها دون أن يشعرون، ودمر جميع الأدلة التي قد تسمح لغيره بصناعتها.

وبالتالي شعرنا وشعبنا بالأمان أخيرا، لا مزيد من التصريحات المخيفة على الأخبار، وأزيل الحظر عن زيارات الإمبراطورية، التقيت بوالدي ستيل الرائعين، فعلمت بأنه ورث ملامح أمه الجميلة، وقلب والده المتمرد، نحيلة هي والدته لا تبدو كوالدة أحدهم تبدو شابة وكأن الزمن لا يجرؤ على ترك آثاره عليها، تمتلك شعرا أسودا حريريا كثيفا كابنها، وعينين سوداوين غامضتين، ووجنتيها ورديتين طوال اليوم، بلا مساحيق تجميل، فبدت أجمل، لها خصرا نحيلا وبشرة صافية، سألتها مرة فهمست لي بسرها (أشرب ملعقة زيت الزيتون مع عصرة نصف ليمونة، هذا فقط صباحا ومساء) والده له جسم رياضي، فارع الطول، عريض المنكبين، بحواجب مرسومة ببراعة، وعينان تمتلكان نظرات حادة، شعره الأبيض غزا لحيته القصيرة، بدا عنيدا وغير راض عن السلام الذي عقده ستيل، قال مرة بغضب دون أن يعلم بوجودي خلفه: (أخذوا أخيك، بكرنا، ولم يخبرونا بمكانه إلى اليوم، لعله الآن يرقد ميتا وهم لا يجرؤون حتى على التصريح بذلك) توترا الاثنان حين أحسا بوجودي، وغادرت أنا دون أن أنطق بكلمة، شعرت بعدم ارتياح العائلة بحديثها عن الموضوع، حتى عندما رحلا والداه لم ينطق ستيل بكلمة عن حقيقة اختفاء أخيه في المعامل الحكومية وأنا احترمت خصوصيته وراحته.

حياة المشقة في الماضي غيرتني جعلتني أكثر حذرا، وروتين دفع إيجار الشقة أكسبني صفة الدبلوماسية والكذب ببراعة، الوعود الواهية تعلمتها حين احتجت أن آكل في أيام دراستي المرهقة، الآن فقط بدأت أعود إلى حالتي السابقة رغم أن العادات القديمة صعبٌ التخلص منها، لكن العادات الأقدم تعود بسرعة حين ترجع الظروف إلى سابق عهدها، هنا الدلال علمني العناد، السعادة أكسبتني المسامحة، الحب عودني على الأمل، زوجا ساخرا لكن طيبا علمني أن أفحمه بسرعة دون أن أشعر، فيضحك مهزوما مستسلما لي، الظروف الجميلة تصنع عادات غريبة بعضها حميدة وأخرى مريعة، لكنني سعيدة هنا بين عائلتي.

الحياة الرغيدة هنا تناسبني، تنعشني أنسام الإمبراطورية الباردة، ويروق لي المشي بين أزهارها وأعشابها البرية العطرة.

إنها ليلة هادئة أتجهز للذهاب لاحتفال أقامه ستيل بمناسبة اكتشاف آخر لعلاج مرض ما، ما عدت أندهش لمستوى التطور في جميع المجالات في إمبراطورية ستيل هارت، كل يوم إما اكتشاف ثوري أو اختراع يجعل الحياة العصرية أسهل، يختصرون الوقت والجهد، مرت سنة على ذكرى زواجنا، وتعلمت خلالها أنه لا وجود لشهر عسل للإمبراطور ولا حتى أسبوع، وعدته بحضوري حتى ولو كان متأخرا، انتهيت من وضع زينتي وارتديت فستان قصير أسود مزين بحبات من الترتر اللماع، خرجت من منزلي لأجد حارساي الشخصيان ينتظرانني بلا ملل، لم أدخل عليهما وهما يتكلما أبدا، دائما مخلصان في عملهما بالرغم من وجود أجهزة الإنذار في كل مكان، وعشرون فردا يهتمون بحماية منزل الإمبراطور، إلا أنهما يراقبان الأرض والسماء طوال فترة عملهما، إنهم الأفضل والأقوى، لا أستطيع أن أقاوم الشعور بالأمان بجانبهما.

ألقيت التحية عليهما:

_ مرحبا جون، مرحبا لوك.

أدا التحية بوجه بشوش

_ مرحبا سيدة آستر.

دخلت سيارتي الفاخرة التي لم تصنع إلا لي بنظام حماية استثنائي، مقاومة للرصاص، نظام ذكي يقفلها بشكل تام ليستحيل لذرة غبار الدخول أو الخروج منها، مع مدد للأوكسجين لسبعة أيام مع ذخيرة طوارئ غذائية والكثير، لا أعلم لمَ ستيل قلق بشدة لعمل كل هذا من أجلي، أم أنه يستعرض قدرات مصانعه التكنولوجية أمام عيناي؟

كل ما أريده سيارة مريحة وسريعة تنقلني من المحطة (أ) إلى المحطة (ب) لا قلعة حربية بعجلات.

جلسا لوك وجون في مقدمة السيارة، وأنا في المقعد الخلفي، أشغل نفسي بقراءة كتاب مثير، رواية مرعبة عن مجموعة أشباح تشعر بالوحدة والنقص، فتثير الفوضى في حي هادئ...

أركز في جزئية تأخذ كل كياني، يفزعني صوت إنذار السيارة فيسقط الكتاب من يدي مع شهقة قوية شعرت معها بأنني سحبت كل ذرة أوكسجين في السيارة.

ضغطت على زر إزالة العوازل بيني وبين الحارسان والخارج، لأرى بأن هناك أربعة أشخاص يطيرون بمحاذاتنا يلبسون الأسود من الثياب، لا تظهر سوى أعينهم، اقتربوا لدرجة أنهم التصقوا في السيارة و بدئوا برفعها في الهواء، رأيت أحدهم كان يفصله عني لوح زجاجي متين، لم أرى إلا عينيه تلك العينان الزرقاوان مع تلك الندبة الصغيرة التي تعلوا عينه اليسرى!

همست:

_ كونر أنت حي!!

غمز لي بعينه مؤكدا لي أنه هو.

نعم إنه لم يمت، لا أصدق هذا كم أنا مرتاحة، وكأنه حمل ثقيل قد رفع عن كاهلي، وكأنني اكتشف نوعا آخر من السعادة ظل مخفيا عني منذ الأزل.

لوك يخرج أسلحته بتوتر وجون يطالب بالمساعدة من الحرس الإمبراطوري عبر جهازه اللاسلكي

صرخت بهما علي أن أوقف المشاكل المقبلة علينا

_ إنه كونر هو لن يؤذينا، لقد أنقذ حياتي في السجن.

قال جون:

_ لا أظن أنه هنا في مهمة ودية، إنهم من فرقة العدالة، إنهم أعداء الإمبراطور ستيل.

قال لوك:

_ السيارة على ارتفاع ألف متر أنهم ينوون اختطافك سيدتي، إننا نقترب من طائرة متوسطة الحجم لكنها بالتأكيد حربية، الأجهزة تظهر عدد من الأسلحة على جناحيها، سنخرج أنا وجون لمواجهتهم في أسوأ الأحوال يمكننا إبطاء عملية الاختطاف حتى يصل الحرس الإمبراطوري.

قالاها وخرجا في وقت واحد وأغلقت السيارة بعدهما، أنه نظام الحماية القصوى، كنت أرتجف من شدة الخوف ليس من كونر، بل من شدة ارتفاعنا أختل توازن السيارة لثوانٍ، لكنها عادت للتستقر سريعا، أستطيع رؤية لوك وجون يقاتلان ثلاثة من الرجال، لعل الرابع هو من يرفع السيارة، ابتعد الخمسة عن مجال رؤيتي فلا يبقى لي سوى السواد الكاحل، سألت النظام الذكي في السيارة:

_ فيرا أين لوك وجون؟

قالت بصوت سيدة هادئة

_ إنهما على بعد خمسون مترا، فقدا تسعون بالمائة من قوتهما.

عاد الصمت المطبق بداخل السيارة، بدأت ألحظ من بعيد طائرة تحلق في الظلام لولا النور الذي يظهر من خلف الباب المفتوح على مصراعيه، لما رأيتها إذن أنا بالفعل أتحرك، نحو مصير مجهول ومرعب، نعم التاريخ يثبت هذا فمعظم زوجات الملوك يسجنون ويقتلون عند الإيقاع بممالكهم، تاريخ أوروبا يمتلئ بهكذا أماسي فما بال بزوجة إرهابي أو خائن...

لكنني بغرابة أثق بكونر، لا أظن بأنه أنقذني ليقتلني، كنا زملاء جيدين وأصدقاء رائعين، بل إنه اعترف بحبه لي،

أنفاسي تتسارع، ونبضات قلبي تضطرب، يرتفع صوت فيرا:

_ جون فاقد وعيه.

لقد هزم جون، سأكون وحيدة، لن ينتصر لوك هو الآخر.

علا صوت فيرا مرة أخرى:

_ لوك فاقد وعيه.

شعرت باهتزاز السيارة، ومن ثم رأيت ظلان يطيران أمامي، يحملان رجلان فاقدان للوعي.

دخلا إلى الطائرة قبلي وتبعتهما سيارتي، وضعت سيارتي بحذر بمعاونة عدد من خارقي القوى داخل الطائرة، وأقفلت الأبواب، وقف ثلاثة من الذين كانوا في الخارج أمام نافذتي، بينما اختفى الرابع إلى ممر بداخل الطائرة، خلعوا أقنعتهم وظهروا من خلفها أناس قد رأيتهم من قبل.

أولهم كونر الذي تعرفت عليه فور رؤيته، يقف بثبات ونظراته الحادة تلازمني، لا أعلم هل هو سعيد برؤيتي أم غاضب مني، لا أرصد أية مشاعر من عينيه الغمضتين.

الثاني والثالث، هما أليكس وجسيكا اللذان زاراني في المشفى بعد حادثة اقتحام السجن.

كنت قد جلست في مقدمة السيارة لأوفر لنفسي أكبر مجال للرؤية.

جون ولوك مرميان على الأرض بإهمال، يبدوان وكأنهما تعرضا لعاصفة من العراك.

أمرني كونر بكلمتين:

_ افتحي الباب.

لكنني بالطبع لن أفتحه لهم وإن كنت أثق بكونر، فهاهم أوسعوا الحرس الخاص بي ضربا.

أجبته باختصار:

_ لا أستطيع، السيارة في حالة الأمن القصوى لن تفتح إلا لستيل.

أخرجت جسيكا مسدس غريب من جيب في جانبها الأيسر، وأطلقت بكل برود على رأس لوك، ثم عادت نظرتها الباردة إلي لتصيبني بالغثيان، وقالت:

_ هل أنت متأكدة؟

انهرت في داخلي هل مات حقا لوك بهذه السهولة؟ قلت لهم بصوتي المخنوق:

_ لماذا؟

ألم يكن عليهم التهديد أولا وتحذيري!

أشارت بمسدسها نحو جون، لكنني صرخت بها:

_ توقفي سأخرج الآن.

توقفت جسيكا وابعدت مسدسها عن رأس جون.

توجهت بنظري نحو الشاشة الصغيرة بداخل المقود وقلت بصوت مرتجف:

_ فيرا عطلي حالة الأمان القصوى.

أصدرت السيارة عدة أصوات معدنية، ثم تضيئ الشاشة باللون الأخضر الفاتح، فتحت الباب لأخرج ببطء، شعرت بالبرد فور خروجي من السيارة، تقدم إلي كونر وأمسك بكتفي ليبعدني برفق عن السيارة خشية عودتي إليها، علا صوت ستيل من داخل السيارة متشبعا بالخوف والقلق في آن واحد:

_ آستر هل أنت بخير يا آستر.

رددت عليه وجسدي يرتجف بجانب كونر:

_ أظن أنني اختطفت على يد فرقة العدالة.

لم أستمع إلا لتهديد ستيل لهم، وكأنه من عالم بعيد والشعور بدوار شديد بعد أن انتشرت رائحة غريبة في المكان، فأتكئ أكثر وأكثر على كونر، الذي شعرت به يلتقطني ويحملني بلطف، ويبعدني عن ذاك المكان، سمعت صوته يخاطب أحدهم بحزم:

_ أنهيه، وتخلصي من السيارة.

وغبت عن الوعي إلى عالم من ظلام.

استيقظت في غرفة ضيقة بالكاد تكفي السرير الذي أستلقي عليه، ومنضدة صغيرة فوقها قارورة ماء، أحسست بجفاف ريقي مددت لها يدي اليمنى لألتقطها، فألمتني إبرة متصلة بيدي تأوهت بصوت خافت، ما الذي حدث لي؟ ولمَ أنا في غرفة ضيقة؟ لم أعهد بأن ستيل يرضى بغرفة مشفى كهذه لي! تذكرت حادثة الاختطاف حينما دخل كونر.

كانت نفس الملامح التي أتذكرها لكنها تبدو أكثر قسوة وأكثر حزما، لم يكن هكذا أبدا سوى في الليلة الأخيرة تلك،

قال بصوته البارد الجديد:

_ألقينا القبض عليك بتهمة الخيانة العظمى.

كنت أعلم أنهم سيتهمونني بهذه التهمة، منذ أن هربت مع ستيل هارت، لكن أن يحدثني هو عزيزي كونر بهذه الطريقة هذا أمر لم أتنبأ به، تجاهلت ما قال وقلت بصوت قد اخشن قليلا:

_ أنا عطشى.

اقترب هو وتناول قارورة الماء وأزال غطاءها.

_هاك الماء.

شربت القليل منه ثم قلت له بحدة:

_ يسعدني أنك تتنفس.

فاجئني هو بانفعاله الغاضب.

_ لم هربت معه، لم تزوجته! فأنت حكمت على نفسك بالسجن مدى الحياة أو حتى الإعدام!

قلت بتهكم واضح:

_ عذرا آدم الأموات لا آراء لهم.

غاضبة بشدة منه، لكنني فعلا سعيدة بنجاته، الآن فقط شعرت بارتياح في جزء كبير من قلبي طال حزنه سابقا.

احمرَّ وجهه غضبا وقال ساخطا:

_ سيعود أحدهم بالطعام إليك.

ثم غادر الغرفة وانزلق الباب داخل الجدار ليقفل فور مغادرته.

لم أرتح للمكان بأكمله فأخرجت الإبرة من يدي، وجلست على طرف السرير، مازلت أرتدي الفستان الأسود لم يكن مريحا على الاطلاق.

مرت نصف ساعة حتى انزلق الباب وظهر الشاب الممتلئ، إنه أليكس، يحمل صينية بها نصف رغيف خبز وكأس ماء وضعها على المنضدة.

_ تبدين بصحة جيدة، أمازلت تشعرين بجفاف في الحنجرة.

_ نعم.

_ بسبب المخدر، مرت ثلاثة أيام وأنت في نوم عميق.

أخرج جهازا صغيرا من جيبه وأمسك بيدي ليضع طرف الجهاز على إبهامي، فأشعر بوخزة مزعجة سحبت منه يدي في حركة سريعة دفاعية، ابتسم هو وقال بعد أن قرأ البيانات التي أظهرها الجهاز:

_ أنت بصحة جيد فعلا، ولا تقلقي من أمر جفاف الحنجرة فقط أشربي الماء وسيزول سريعا.

قلقة بشأني جدا فلا أقاوم سؤاله:

_ ماذا سيحل بي؟

قال لي بابتسامة واسعة وجدتها مستفزة:

_ لست أملك الصلاحية لإخبارك، أنا هنا مهمتي هي سلامتك أولا وأخيرا.

_ ظننت بأن السلام حل بيننا، وكل شيء أصبح على ما يرام.

_ عندما يهان العالم بأكمله من أجل طموح شاب واحد؟ لا يمكن للأمر أن ينتهي بصفقة سلام.

غادر هو الآخر لينزلق الباب وراءه مغلقا، فحصت الغرفة من بدايتها إلى نهايتها من فرط الملل، ولم أجد شيئا سوى فتحات التهوية العلوية، وكاميرا صغيرة سوداء في الركن اليسار من جهة الباب، وحمام صغير مقابلا لباب الغرفة.

لا يوجد داعي للخوف ستيل سيجدني ويعيدني إلى منزلي خلال أيام معدودة، فقط الصبر يا آستر.

مرت الساعات بطيئة مملة، حتى شعرت بالنعاس، واستغرقت في نوم عميق.

استيقظت على صوت انزلاق الباب، فوجدت آدم يقف بجانب سريري

_ علي أن أسألك عدة أسئلة، وستجيبين عليها بصدق.

مسحت وجهي بيديّ لأطرد بقية النعاس الذي يتشبث بعيني، وجلست أمامه بكسل.

_ أنا جاهزة.

ضغط بأطراف أصابعه على الجدار لينفصل لوح معدني مبطن بالجلد عن الجدار ليكون مقعدا عمليا، لم أستطع السكوت فقلت متصنعة الانبهار.

_يا للروعة، يا لك من ساحر.

ما زالت ملامحه الجدية ترتسم على وجهه، لكنه نفس الوجه، تلك العينان الزرقاوان لم يتبدل لونها، وذاك الشعر الأشقر لم يتحول لونه، ما زلت أرى كونر أمامي، وكأني أنتظر منه أن يقول (كنت أمزح) لنضحك سويا على خدعة طويلة غبية.

جلس واضعا رجلا على رجل مستند ظهره على الجدار، وسأل أول سؤال له:

ما هي خطط ستيل هارت للعالم؟

ابتسمت بخبث لأغيظه.

_وكأنني سأخبرك (وشددت على الكلمة الأخيرة) يا كونر.

سأل السؤال التالي وكأني لم أسخر منه:

_هل وجد ستيل هارت السلاح الأسود؟

_وما أدراني عنه، أنا زوجته لست وزير الدفاع.

_ما هو المقر الذي يقيم به اجتماعاته السرية؟

هذه المرة أجبته بسؤال مبتسمة بأمل علي أن أجد كونر الزميل القديم:

_أمازلت تحب اللازانيا؟

تجاهلني بنظرات باردة.

_هل شاركت في قرارته السياسية؟

لمست يده وأنا أسأله علي أن ألتمس لمحة من الماضي:

_هل تأذيت بشدة تلك الليلة؟

سحب يده عني فتراجعت أنا بدوري، لكنني سألته علي أن اطمئن عليه.

obeikan.com

_هل أنت بخير يا كونر؟

ظل ينظر إلى وجهي، لم يتحدث، لم يسأل، فعلمت بأنني لمست وترا حساسا لديه فأكملت:

_ممتنة لك كونر، أنا أعلم بخطورة وضعي هنا، لكن علي أن أقولها... شكرا كونر، أنت أنقذت حياتي.

لم تتغير ملامحه حتى يخيل لي أنه لا يرمش، إنه رجل آخر رجل بقلب من جليد لا يذوب، طال نظره إلي ثم قال بكل برود:

_ أنا لست كونر، كونر هي شخصية اختلقتها لمراقبة ما يحدث بالسجن، أنا توماس وستناديني بتوماس، مرحلة الاستجواب ستمر بثلاث مراحل، المرحلة الأولى مجرد أسئلة، المرحلة الثانية أسئلة مع فترات تجويع بإشراف الطبيب، المرحلة الأخيرة (وابتسم بثقة بخبث بنية سيئة) حصص تعذيب.

دخل كلامه أذني وكأنه فجر قنبلة، وجهي المبتسم أمتقع وأصبح شاحبا، جف حلقي، حاولت الحديث، حاولت إقناعه بتركي أو حتى شتمه لكنني تجمدت، اتسعت ابتسامته الخبيثة وكأنه ظفر، غادر حجرتي الصغيرة ليترك لي هدية صغيرة تحتل كل خلية في قلبي هدية اسمها (الذعر)

لم أنم تلك الليلة بل بقيت يقظة حتى جاء أليكس، كنت قد قطعت قمم أظافري من فرط القلق، الثمانية ساعات مرت بثقل الجبال، دخل أليكس كالمرة السابقة يحمل كأس ماء وصحن فوقه قطعة خبز، وضعها فوق الطاولة الصغيرة بجانب سريري.

يرتدي قميص وبنطال أبيضيين.

مد يده إلي ليفعل كما فعل من قبل، ناولته يدي المرتجفة أمسكها بيده الدافئة، وتأمل أظافري.

_ هل سيتم تعذيبي هنا؟ هل ستشرف عليهم أيها الطبيب؟

تجاهل حديثي الذي قلته بنكهة سخرية وهو يلصق إصبعي على سطح الجهاز الصغير، انتهى من عمله دون أن ينطق بكلمة، وأخذ معه الصحن والكأس المتبقي من الليلة السابقة، أو حتى النهار، ما عدت أعرف شيئا في هذه الغرفة الضيقة.

غادر قائلا:

_توماس سيدخل بعدي.

مرت عدة دقائق حتى دخل كونر، نعم إنه ليس توماس فهو لي كونر دائما وأبدا.

دخل مرتديا حلة رمادية أنيقة، بدا جذابا كما كان لكنه قاسيا، وكأن روحا شريرة تلبسته وغيرته بالكامل.

جلس على اللوح المعدني الذي انشق عن الجدار ما إن لامست يده ذلك الموضع الصغير، قال بلهجة باردة:

_هل أنت جاهزة للاستجواب.

كنت ماأزال مرتعبة منه، أريد أن أصطنع القوة لكنني أفشل.

_ لا، أنت تخيفني كونر، لمَ أنت هكذا؟

_ إذا تعاونت معنا، لن ننفذ المرحلة الثانية والثالثة من الاستجواب.

أرد سريعا:

_لكن ستيل لا يخبرني بشيء، إنه غامض.

تراجع إلى الوراء وقال بكل برود:

_ كان عليهم أن يدربوك على الكذب، فأنت واضحة، ككتاب أطفال مفتوح.

نظرت إلى الأسفل وأنا أتمتم:

_ اللعنة.

ابتسم هو بعجرفة، وكأنه وضع يده على أول الخيط، وكأنه سيلتهم كم المعلومات الدسمة التي بداخلي.

_ هل وجد ستيل السلاح الأسود أم لا؟

أردت أن أغيظه كما أغاظني بابتسامته وعجرفته وسيطرته علي، فوقفت وقلت له بكل كبرياء مازلت أملكه:

_أنا لن أنطق بحرف واحد عن زوجي، وأنا لا أصدق ولا واحدًا بالمائة بأنك ستعذبني، أنت فقط تمارس حربك النفسية الحقيرة علي.

وقف ليغادر غرفتي.

_ كما تشائين كل شيء في وقته حسن.

وصل إلى الباب وأردت المغادرة، كرهت كل ثانية قضيتها هنا، علبة الحذاء هذه لا تليق بمكانتي نهائيًا، قمت من مكاني ألحق به، وتشبثت بكتفه:

_ كونر أنت لن تتركني هنا وحدي، أخرجني من هنا الآن.

وشعرت بيده القوية تدفعني بأقوى ما لديه، أو هذا ما ظننت، وهو يقول بصوته الغاضب:

_ للمرة الأخيرة أنا لست كونر.

لم أشعر إلا وجسدي يطير في الهواء، ويرتطم ظهري بباب الحمام المغلق، ومن ثم سقطت أرضا، جاهدت لأتنفس وعندما فعلت شعرت بالآلام الرهيبة في جميع أنحاء جسدي، سمعته يقول بغضب وهو يخطو نحوي:

_ اللعنة لمَ فاجأتني؟

وأحاطت به الظلال السوداء ليغيب عني وأفقد وعيي.

صحوت على أصوات خصام بين رجلين، تبين بعد دقيقة أنهما كونر وأليكس، مجرد ضوضاء لا معنى لها، حتى مرت دقيقة أخرى، أراهما وكأنهما شكلان رماديان متموجان، كشبحان طافيان!

_ سيطر على نفسك فنحن لا نمتلك رفاهية خسارة أهم قوة للسيطرة على ستيل.

_ للمرة الأخيرة أقولها لك، لم أكن أقصد، كنت غاضبا بشدة وهي فاجأتني.

بدت الصورة تتضح أكثر، أنا أستلقي على سرير بوسط الغرفة، غرفة وكأنها من المعدن الخالص، حتى أدراجها ودواليبها معدنية مقفلة بقفل إلكتروني، لا أظن بأنها تفتح لأي أحد، قطعة القماش الوحيدة هنا هي التي أستلقي عليها.

تأوهت بألم علَّ أحدهما يأتي ليشرح لي ما هو وضعي الصحي.

_ أأحد هنا، رأسي سينفجر.

سمعت كونر يأمر ماكس وهو ينظر إلي من بعيد:

_ اذهب إليها وافحصها، ثم أرسل إليّ بالنتائج.

هل غادر دون أن يطمئن علي، وهو السبب في آلامي هذه، يا له من متعجرف وأحمق.

جاء أليكس وبيده كشاف وحول رقبته سماعة الأطباء المعتادة، إلا أنها تبدو أكثر تطورا وأناقة، مازحته علي أن أحظى بحليف هنا:

_الآن تبدو طبيبًا حقيقيًا.

ابتسم متفاجئا مني.

_ ألست بمزاج جيد؟!

_ كانت خطتي أن يرمي بي عبر الغرفة، واصطدم بالباب، فقد مللت البقاء هناك.

قال وهو يتفحص عينيّ بكشافه المزعج:

_ حقا، إذن يسرني إخبارك بأنك تحت إشرافي لثلاثة أيام، فقد شُرخت فقرتك الخامسة والرابعة من عامودك الفقري.

أفزعني حديثه جدا، ولاحظت حينها بأنني فقدت القدرة على تحريك أي عضلة في جسدي عدا رأسي.

_ ماذا وهل أصبت بالشلل؟ ألهذا أنا لا أتحرك؟

قال سريعا وقد علا صوته مؤكدا لي:

_ لا لا، أنت سليمة، لكننا أصبناك بالشلل المؤقت لنبدأ العلاج المتقدم، إنها مادة سائلة أضفناها مع المغذي وسنستمر بها لمدة ثلاثة أيام وبعدها ستشفين بالكامل.

_ وربما سأحتاج إلى الشمس والقليل من الهواء المنعش كي أغدو أفضل.

هز رأسه نفيا.

_لست أمتلك صلاحيات خروجك من أي مكان، فقط في هذه العيادة وربما غرفة لطيفة إن أحسنت التصرف.

قال بعد أنهى الفحص:

_ تبدين بصحة جيدة وعظامك في تحسن سريع، ربما لن تحتاجي إلا يومين فقط، واليوم الثالث ستمضينه في غرفة لطيفة.

أجبته وأنا متضايقة من كونر، ومن كل شيء غامض هنا.

_ لكني أريد أن أرى كونر، أريد أن أتحدث معه.

قال وهو يهم بالمغادرة:

_ صدقيني أنت لن ترغبي بالحديث فلا تتعجلي، استرخي الآن، وأنا سأعود بعد ساعة لأطمئن عليك.

تمضي ثلاث ساعات، ولا أثر لأحد حولي، أتأمل السقف وإضاءات الغرفة الصغيرة، ملل، ملل، ملل...

صوت بجانب الباب هناك، من عاد؟ يُفتح الباب لتظهر جسيكا، الشابة التي قابلتها في المشفى ترتدي بنطالًا أسودًا وقميص رمادي طويل الأكمام، ترفع شعرها الأحمر الناري بطريقة عملية فوق رأسها، نظرات الاستحقار ترمقني بها منذ أن تلاقت أعيننا، اقتربت حتى التصقت خاصرتها بالسرير، وانحنت علي لتهمس في أذني:

_ أيتها المسكينة، لا أصدق بأنك تثقين بتوماس، حتى أنا وأنا في فريقه لا أثق به.

ثم تراجعت واستقامت وأكملت بابتسامة خبيثة:

_ الأشياء التي رأيته يفعلها جعلت قلبي يرتعد كقلب طفلة صغيرة.

ثم غادرت وهي تتمايل بدلال، لا أصدقها أم علي فعلا أن أخافه؟ فهو وإن كان يبدو مثل كونر، لكنه لا ينظر مثلما ينظر كونر، ولا يتحدث كما يتحدث كونر، وحتما لا يمتلك ابتسامة كونر.

obeikan.com

الفصل الثالث

مرت الأسابيع الأربعة بتوتر وضيق يتوسع داخل قلبي، إحساس بالفراغ والمعاداة يحيطني من جميع الجهات، قضيتها ما بين إجابات أغيظ بها توماس، ومقتطفات قصيرة من حياتنا السابقة أذكره بها، ومع تجاهله لي ومعاملتي بطريقة رسمية سخيفة، أصبح اسم كونر كلمة ثقيلة على شفاهي، بالأخص حينما يسمعها هو مني، يمكنني أن أرى شرارة تكاد تحرقني من عيناه، فأصبحت أنسى أو أتناسى هذا الاسم الذي ارتبط بإنقاذه لحياتي، ورفقته التي كانت طيبة في ذاك السجن.

انتهى الشهر الأول وتنتهي معه مرحلة التحقيق الودي كما يسميه، المرحلة التي يدخل بها توماس غرفتي، يجلس على المقعد الذي يفصله من الجدار، فيسأل الثلاث أسئلة، كنت اشتاق لنصف ابتسامة من فمه لكنه صلب كحجر وبارد كعاصفة ثلجية، يخلو وجهه من التعابير البشرية التي اعتدت عليها، وأزيد من غيظه حينما أرد باستهتار على أسئلته فتكتسب عيناه حدة مخيفة ليقشعر بدني منه، يضايقني الشعور بالخوف منه فأخفي ما أحس به وأبتسم في وجهه الغاضب بتحدٍ وبثقة، ليس من المفترض بالمرء إبداءها لما يفترض بهم أن يكونوا أعداءه، في بعض الأيام لا أقاوم معاملة توماس على أنه كونر، وكأنه ليس عدوي رغم أنه يرأس فرقة العدالة منذ أن عرفته، لكنه كان رائعا شهما ونبيلا، مازلت أؤمن بأنه مازال طيبا في أعماق قلبه، لا ينقلب البشر من الخير إلى الشر في سنة واحدة، أم أنا مخطئة منذ البداية وهذه حقيقته التي أخفاها بقلبه، وهي فقط ظهرت! أو ربما أنا الشريرة هنا! حقا أتساءل هل يراني هكذا؟ هل حينما يفكر بأعدائه قبل أن ينام أخطر أنا على باله؟ ويتوعدني بالعقاب وتطبيق العدالة على كاهلي؟

ما عدت أعلم.. ما عدت أحسن التفكير.. أحببت عدوًا، وأسرني صديقًا!

اختلطت الأمور علي، ألا يمكن أن أكون بجانبهما دون أن أكون في صف أحد؟ وفي عداء مع أحد! لا أظن أن الحياة تسير بهذه الطريقة، على الأقل ليست حياتي، بالتأكيد!

يدخل ويخرج دون إجابات، دون أن ينتفع، يحذرني من نفسه، وحين يضعف، وأرى شيئا من كونر المحجوب عني، يخبرني باقتضاب: (لا أريد أن أضطر لأذيتك)

ويرحل بائسا ممتقع الوجه مفطور الفؤاد، يتركني في حيرة من أمري لأسأل نفسي (هل حقا سيجرؤ)

أغمض عينيّ وأهز رأسي في محاولة مني لطرد الفكرة من رأسي، هو لن يفعل، بالتأكيد لن يفعل.

يمر اليوم دون أن يدخل علي أحد، حرموني من صحبتهم أحاول أن أتحرك لكن المساحة ضيقة، أعود لأستلقي على السرير، أحاول أن أنام علّ الوقت يمضي أسرع.

استيقظ على صوت انزلاق الباب، إنه أليكس يحمل محلولا وريديا بيده اليمنى، فيلصقه بصمت على الجدار فوقي مباشرة، ثم يغرز إبرة صغيرة في ساعدي، ينهي عمله ويغادر بصمت، كنت مرهقة ونعسة، فلم أحدثه أو أسأله، خشيت أن أنثر نعاسي، ثم سأمضي بقية الساعات بملل أندب حظي، لذا أكملت نومي متجاهلة إبرة المغذي المتصلة بي.

مرت ثلاثة أيام ونحن على نفس الحال، لا طعام أو ماء، فقط محلولا وريديا يبقيني على قيد الحياة، مهجورة الرفقة تعيسة المجلس.

لم أشعر بالألم في اليوم الأول، وحتى الجوع لم يكن سيئا، أشبه بقرص مزعج داخل جدران معدتي الفارغة، اليوم الثاني تزداد الأعراض سوءً، فأشعر بالغثيان والقرص يشتد، وكأنها كابلات الحديد تنهش طيات معدتي فتبقيني يقظة أتلوى على سريري، علّي أن أخفف آلامي، لم أكن أعلم بأن الجوع هكذا يفعل، بل إنه لا يفعل حتما هذه ليست أعراض طبيعية، أحاول أن أعصر ذاكرتي لمَ يحدث هذا لي! لمَ أشعر بهذه الألآم الرهيبة؟ لكنها تمنعني حتى من التفكير.

اليوم الثالث، يدخل توماس ويفعل كما يفعل كل مرة، لم أعره اهتماما ظللت أتلوى وأتأوه محاولة خفض صوتي قدر ما أستطيع، لا أفهم لمَ أحرج منه، وهو السبب في آلامي! حقا لا أدري.

قال بصوته البارد المستفز:

_ هل وجد ستيل أحجار الجحيم؟

أستجمع قوتي المبذولة في مقاومة الألم:

_ ماذا فعلت بي؟

يتجاهلني ويكمل بلا اهتمام:

_ أين يقيم ستيل اجتماعاته؟

_ اذهب إلى الجحيم.

وانطويت على نفسي، علي أن أبعد الألم لكنه يأبى أن يفارقني فيزداد تمسكا بي ينهشني من الداخل بلا رحمة، استيائي من توماس يزيدني تعبا وضعفا، مجهدة روحا وجسدا.

أتحسس الانتفاخ الذي سببته الحقنة الوريدية في يدي، وأكتشف حينها السبب، كان أمامي منذ البداية ولم أنتبه له إلا حين وضعت يدي عليه.

فقلت بسخط وأنا أنزعها بحذر:

_ماذا وضعتم هنا؟

_ ستموتين إن فعلت ستصابين بالجفاف.

_سأموت إن أبقيتها، إنها مسمومة، أليس كذلك؟

رد توماس ببرود وكأنه يشرح لي درس علوم أو معادلة علمية لا علاقة لها بصحتي:

_ ليس سم إنها مادة تسرع إحساسك بالجوع والعطش، لكنها لا تضرك، خلطناها مع المادة التي تبقيك على قيد الحياة، الألم والحياة مرتبطان ببعضهما في حالتك.

ثم يغادر بعد أن أنهى أسئلته وبعد أن تجاهلته بعناد.

أحسست بالراحة فور أن فصلتها عن يدي، و بدأت الآلام بالزوال، لكنني أصبحت أشعر بالضعف والدوار وصعوبة في التنفس، فعلمت بأنني قد وصلت إلى مرحلة حرجة من الجفاف، أحتاج إلى السوائل كي أبقي جسدي رطبا، وإلا سأدخل في نوبة حرجة، ومن بعدها غيبوبة، قد لا أصحوا منها أبدا، أعدت الإبرة الصغيرة إلى يدي، وعادت إلي الآلام تدريجيًا حتى عدت أتلوى، علي أن أحتمل إن أردت رؤية من أحب، علي أن أحتمل من أجل عائلتي، مرت الأيام وأنا في تعب وألم، لكنه مايزال محتمل نوعا ما، وكأنني اعتدت عليه فيأسوا مني، حتى أنهم في الأسبوع الأخير أزالوا تلك المادة ولم يضيفوها لي فما كنت أشعر بآلام رهيبة، فقط جوع وعطش وهوان، لم أجب على أسألتهم لسببين، أولا، ما كنت لأخون ستيل وأنا أقدر على تحمل الجوع والعطش، والسبب الثاني، الأكثر إقناعا كنت أخشى أن أفشي لهم أسراره فتنتهي فائدتي هنا وأُقتل كحارسي، علي أن أحتمل ما دمت قادرة من أجلي ومن أجلهم.

زالت معظم الآلام حتى أصبحت قادرة على الكتابة من جديد، فصرت أضع الآلة الكاتبة على سريري، وأجلس على الأرض، وأمارس وسيلة الترفيه الوحيدة المسموحة لي، كتابة مذكراتي شاتمة فيها توماس بكل صفحة.

يدخل تلك الخزانة الضيقة المظلمة، يبحلق في سجينته المشغولة بآلتها العتيقة، لم تعره اهتماما حتى أنها لم تتحرك قيد أنملة، تجلس على الأرضية، وتضع الآلة الكاتبة فوق سريرها القصير الذي زاد من تعبها، تتملكه رغبة في تخريب عملها وتحطيم آلتها البدائية لكنه يتجاهلها.

_كيف تكتبين في الظلام؟

تجيبه دون أن تلتفت إليه.

_ حفظت أماكن الحروف.

أتكأ على الجدار وسأل:

_ أأنت عطشى؟ أترغبين ببعض الماء؟

ترد بعدائية رغم الجحيم الذي يشتعل داخل حنجرتها:

_وكأنك ستتنازل لي عن كأس بارد، لا أريد اشبع بها أنت وصحبك.

جلس على الأرضية مازال ظهره يرتكز على الجدار، ويمد قدماه على طولهما فتلتصقان برجليها الحافيتين، وتتجاهل هي ما يفعله، إنه يحاول أن يثير أعصابها، وينال مراده، لتتحرك بنفور وتكتب بعصبية أكثر.

_أتعلمين! نحن نقيم مأدبة في الغرفة المجاورة، نقضي وقتا ممتعًا، نأكل البطاطا المهروسة مع شرائح الدجاج المشوية بجبنة المازوريلا والبارميزان الذائبتان، ثم سنحلي بمثلجات الشوكولا بالكراميل، أليست المفضلة لك يا آستر أم كانت نكهة الفستق؟ مضى وقت طويل عن السجن ما عدت أتذكر.

سكوتها عنه يثير أعصابه، فيقف بطريقة مفاجئة، ويقترب منها لينحني إليها، ويرفعها بيديه من أكتافها، فيجبرها على الوقوف، ويهمس في إذنها:

_ هيا بنا لنلقي التحية على صحبة العشاء.

تشعر بدوار وتعب فتتذمر وتتكئ عليه:

_أوه توماس، لا أستطيع المشي سأسقط، لا أريد أن أقع على وجهي.

يشعر بضعفها، وتؤثر عليه آلامها، هو يعلم حقا إلى أي درجة هي ضعيفة، فهو من حرمها من الطعام والماء، ولم يبقي لها سوى المحلول الذي يسمح لها بالبقاء في مستوى واعٍ ليستخرج منها المعلومات التي يريدها منها، إحساسه بالذنب يؤنبه، بسببه هو صارت بحالتها الهشة هذه، يقاوم الرغبة القوية في داخله بضمها إليه، يتمنى حمايتها لكن ممن؟ من نفسه! هو الوحيد القادر على إيذائها، وهو المسؤول الأول عنها هنا، رغم الضغط المستمر من قادته باستخراج المعلومات المطلوبة منها بالطريقة التي اعتاد عليها، لكنه يراوغ متملصا من أوامرهم كمحتال في سوق شعبي قديم، وحيله قد قاربت على النفاذ، يهمس في أذنها:

_ لا تخافي فأنا لن أدعك تقعين، ليس الليلة على أية حال.

تتشبث به بيدها اليمنى، فيما يدها اليسرى تضغط بها على جبينها.

_ لمَ أوقفتني بسرعة، هاهو رأسي سينفجر بسببك.

يلف يده حول خاصرتها ويجبرها على المشي بجانبه، يدخلها غرفته الواسعة التي زينت طاولتها بأنواع الطعام الذي عددها توماس قبل قليل، يجلس حولها ثلاثة رجال وامرأة، لعلهم جميعا يعملون تحت إمرة توماس، لكنهم يبدون لها كعائلة سعيدة، إنهم يمزحون ويضحكون ويسخرون من بعضهم البعض، ابتسمت آستر، وكأنها تشاركهم سعادتهم رغما عنهم، تتذكر لحظات

العشاء الدافئة مع ذويها، أو حتى أصدقائها، يسحبها توماس بعيدا عنهم، داخل خزانته الصغيرة التي اعتادت على زيارتها و يجلسها برفق، يجلس هو أمامها يسألها بعد أن يقفل الخزانة، وينفرد بها:

_لا أريد الأمر أن يطول يا آستر، ألا تريدين الجلوس معنا؟

مسحت وجهها بيديها، ثم أجابت بعد أن أسندت رأسها على الجدار ومددت ساقيها:

_ لا أريد شيئًا منكم، أريد العودة إلى موطني.

_ هل وجد ستيل أحجار الجحيم؟

تعانده آستر بسؤال آخر:

_هل سنقضي أيامنا على هذا الحال؟

أين يجري ستيل اجماعاته السرية؟

_ ألا تمل من سؤالي كل يوم نفس الأسئلة السخيفة؟

_ نعم بالفعل أنا مللت، ألهذه الدرجة أنت متهورة! أتريدين العبور إلى المرحلة الأخيرة، تذكري عندما تجلسين على الكرسي الحديدي أمامي، أنت من استعجلت ما سيحل بك.

خرج إلى الغرفة بخطوات واسعة وصرخ بهم جميعًا غاضبًا.

_ انتهى كل شيء، غادروا جميعا، اخرجوا من هنا.

ارتجف جسدها، وهي تستمع لصراخه، وترى نوبات غضبه، هو يدمر كل شيء في غرفته، الكراسي، صحون الطعام الممتلئة، كل ما يقع على مرأي عينيه، يكسره وينثره في كل مكان.

خرج الجميع في ذهول، قبل ساعات يجهز لهذه المأدبة، ويأمرهم بالتظاهر بالسعادة، ونشر البهجة بينهم لا تمر إلا ثوان مع آستر، ويخرج مشتعلا هائجا، الطبيب أليكس يجلس بسكون ينتظر ما سيأمره به توماس، وبالفعل يقول توماس بعدما نفس عن غضبه وهدأت أنسامه:

_ اهتم بغذائها فسندخل المرحلة الثالثة بعد أسبوع من اليوم، ستحتاج إلى قوتها للتعافي.

يزفر الطبيب بكآبة فهاهي الأوامر الجدية، قد بدأت وهنا ينتهي دور الطبيب من التدخل بين آستر وتوماس.

انتهى الشهر الثاني، لم يكن تحمل الجوع أمرًا مستحيلًا بالنسبة لي، ما وجدته تحديا في الحقيقة هو انتظاري للشهر الثالث، والمرحلة الثالثة التي وعدوني بها، كان كونر جديا في حرماني من الماء والخبز الذي كان يقدمه لي، بالطبع بإشراف أليكس، الحدث الممتع الوحيد الذي يسمح لي بأن أراه هو الجدال الدائم بين كونر وأليكس، وكأنهما أعداء وليس قائد وتابعه.

ينزلق الباب ليدخل أليكس ويتأملني بشكل يثير الريبة، يوترني فأقطع صمته المزعج:

_ ماذا يا أليكس؟

يحسم أمره وأخيرا ينطق:

_حان الوقت، سآخذك إلى توماس.

أقف بكبرياء وأعبر من أمامه:

_ تقصد كونر، ستأخذني إلى كونر.

لا أعلم لمَ أتمسك بكونر، اليوم بالذات، يرعبني المكان بدونه، وكأن توماس سيتحول لكونر بمجرد نطقي باسمه، يا لا سخافتك يا آستر.

أشعر بآلام في معدتي رغم تظاهري بالثبات، الغثيان لا يحتمل فأتقيأ غدائي على سريري الصغير، لكني لا أشعر بأنه طعاما، بل وكأنني تقيأت أحشائي هناك، يراقبني أليكس من بعيد ينتظر إلى أن انتهي، ثم يناولني منديلا نظيفا من جيبه، أغسل وجهي في مغسلة الحمام الصغيرة ثم أمسح وجهي بمنديله، أنا لست على عجلة من أمري، يسألني أليكس:

_ هل أنت بخير؟

أجيبه بسخط:

_ بالطبع لا، لكن هذا لن يحدث فارقا لكم.

يسكت وعليه نظرة حزن، لمَ هو هكذا، أنا من سيدخل على كونر، ليس هو بل هو من ساهم في اختطافي حرفيا، يأخذني إلى ممر ضيق به عدد من الغرف عن اليمين وعن الشمال، يقودني إلى العيادة التي حفظت كل شبر فيها عن ظهر قلب، بقي هو خارجها بعد أن فتح الباب لي:

_ ألن تأتي؟

قال بوجه شاحب:

_إنها أوامر القائد.

لم أخفي خيبة الأمل التي أصابتني، فلربما وجوده قد يخفف حدة الوضع:

_ حسنا.

دخلت فوجدت كرسيا حديديا في وسط الغرفة، وقد أزاحوا السرير الذي اعتدت على الاستلقاء عليه، كونر يقف أمام منضدة ملقيا لي ظهره منهمكا في ترتيب عدة ما عليها، يرتدي ملابس زرقاء قطنية وقفازين مطاطيين، قال دون أن يلتفت لي:

_ على الكرسي.

كنت ارتجف بردا شعرت به بتدخل من مخيلتي، بردا بائسا يُحزنني ويُرعبني، جلست على الكرسي بصمت هل سيفعل حقا؟ هل سيؤذيني عنوةً؟

يلتفت إلي ويتأملني، بجامة حمراء بالكاد تدفئني، وشعري الأسود يرتاح على كتفيّ، رأيت إحساسه بالذنب في عينيه الزرقاوين، لكني مازلت أظن بأنه يحاول إخافتي هو لن يؤذيني إنه فقط يخدعني.

تقدم مني وهو يجر منضدته الصغيرة، ويجلس على مقعد دائري قصير أمامي مباشرة، تلتصق ركبتَيّ بساقيه.

_ هل ستؤذيني يا كونر؟

يقول وهو يمد يده ليلتقط يدي ويجرها إليه ببطء:

_ تمتلكين يدا باردة.

يده الدافئة تزيل بعضا من بردي، لكن لا تزيل شيئا من مخاوفي، المنضدة بجانبه أشد رعبا منه، تمتلئ بأدوات معدنية، البعض منها مألوف لي، والآخر غريب عني، يشد انتباهي بصوته الهادئ:

_ آستر، كوني معي.

أدير وجهي إليه فأرى عينا غريب لست أعرفه، ووجه يخلو من المشاعر، يسألني وهو لا يرفع ناظريه عني:

_هل وجد ستيل هارت أحجار الجحيم؟

أجبته إجابة تعترض على ما سيفعله بي

_ أنت قلت بأنك أحببتني.

أستطيع أن أرى توتره، وأن أشعر بشيء من خوفه، يفرك جبينه بيده اليسرى فيما اليمنى تشد أكثر على يدي، ويسألني مرة أخرى:

_ أين يقيم ستيل اجتماعاته السرية؟

هذه المرة قبضت أنا بكلتا يدي على يده ثم أشرت بيدي اليسرى على شفتيّ.

_ أنت قبلت شفتيّ هاتين.

يحجب عني مشاعرة، يرفع بيننا جدار متين.

_هل قرأت يوما عن فن التعذيب؟ كلنا تعلمناه، حتى الطبيب أليكس الذي يحسن معاملتك، يصادف بأنه عملي للغاية، يفضل الكهرباء على أي وسيلة أخرى، إنه يقول (أحب أن ألتزم بعمل نظيف) لا دماء تلوث ملابسه، ولا جراح عليه أن يخيطها، أما جسيكا فهي الفوضوية فينا، تعامل ضحيتها على أنه كيس ملاكمة، تفضل الضرب المبرح، وكسر العظام الصغيرة أولا، ثم الأكبر فالأكبر... غالبا هم لا ينجون من بين يديها.

_ لا أصدق بأنك تفعل شيئًا كهذا عرفتك لسنة كاملة، أكلنا سويا وعملنا جنبا إلى جنب، ساعدتني وحميتني كثيرا، أنت لست مثلهم.

يضحك بغرابة وكأنه يسخر مني.

_ اوه آستر لكنني أسوأهم.

ثم اعتدل في جلسته وجر يدي له أكثر وأكثر قبلها بشفتيه الدافئتين، ثم بسط أصابعي على منشفة بيضاء وضعها بعناية فوق فخذه.

–كان التعذيب عمل مزرٍ، لكن لابد منه في مجال عملي، أترين نحن نطيع لا نرتجل، لدينا أوامر وهي بالنسبة إلينا قانون لا يخترق، يدي كانت لا تتوقف عن الارتجاف، وكنت أتقيأ قبل البدء، وفي وسط العمل حتى بعد أن أنجح، لكن بعد العمل على مئة رجل أو حتى أكثر أصبحت أمتلك يدا جراح، وروح قاتل متسلسل تتسلط علي، أنا يا آستر لا أستطيع أن أخالف أوامري، إنه شيء محرم، قد أموت لكن لا أعصي.

بلعت ريقي بصعوبة، مازلت أظن بأنه مخادع، لا يمكنني أن أُخطئ، فكونر هنا بداخله، هو لن يفعل شيئا ليحزنني أبدا، أنا ائتمن له بحياتي.

_ لا أصدق كلمة مما تقول، أنت لم تنقذني هناك لتؤذيني هنا.

وثبت يدي على فخذه أكثر، وحملقت به بعينين واثقتين.

_ هيا إذن، دعني أرى ما تجيد عمله.

قال وهو يسحب أداة معدنية صغيرة لها أطراف حادة مخيفة:

_ سيؤلمني هذا أكثر مما يؤلمك.

بحركة سريعة وجدته يغرسها بداخل إصبعي ما بين اللحم والظفر، وشعرت بأفضع ألم واجهته في حياتي، وكأن النار اشتعلت هنا ما بينهما، وتأبى الانطفاء، صرخت متألمة ترجيته أن يتوقف لكنه لم يفعل، لم يلتفت إلي، حتى وجدت ظِفري الدامي ينفصل عن إصبعي، توقفت يداه الملوثتان بدمائي عن الحركة فور انتهاءه مني، ووجدته يراقب دموعي المنهمرة ألما، وانكسارًا بوجه خالٍ من المشاعر، قال بصوت بارد، صوتًا أشد برودة من الشتاء نفسه:

_ سنكمل بعد أن يضمد أليكس جرحك، سأعود وسأكمل ما بدأت به.

ثم خرج فازداد بكائي، وعلا صوت نحيبي، دخل أليكس وأحضر فورا عدة التضميد، وجلس أمامي، أمسك بيدي المرتعشة وبدأ بتطهير جرحي، ومن ثم لفه بقطعة شاش بيضاء، انتهى من عمله، وأنا مازلت انتحب أحاول قدر المستطاع أن يخفت صوتي، لا أريدهم أن يسمعوا نتائج انتصارهم علي من فمي.

يمسح دموع من على وجنتي بمنديل يخرجه من عدة التضميد، لكنني أبتعد عن يده وأزيحها بعنف عن وجهي بيدي.

_ ابتعد عني.

يتفاجأ أليكس من ردة فعلي نحوه، فيتراجع إلى الوراء.

_ أأنت غاضبة مني.

قلت له بعد أن تماسكت قليلا:

_ عرفت الآن من أنتم، فريق العدالة الذي لطاما سمعت عن نزاهته، وعن تضحيتهم في سبيل إرضاء الوطن، كنت أتمنى أن أرى واحدًا منكم ولو من بعيد، الأساطير التي قيلت عنكم رفعتكم عنان السماء، وأخيرًا عملت مع كونر وكان نعم الصديق، كان أفضل من قابلته على الاطلاق، نزيها طيبا متعاونا، حماني من قساة القلوب، جعل حياتي أسهل وأجمل، وعندما تم خطفي قلت في نفسي مهما حدث فكونر لن يسمح لأحد بأن يؤذيني، لكن تأمل المفاجأة الظريفة كونر هو من عذبني، كم كنت غبية وكم كان هذا مؤلما لي.

قلت بعد أن أخذت نفسا عميقا وتراجعت إلى الوراء:

_ اغفر لي يا أليكس فأنا لن أثق في أحد منكم، لا أريد أن أكرر حماقتي.

قال وكأنه يوافقني الرأي:

_ إذن أخبريه بكل ما يرغب أن يعرفه.

وخرج دون أن يلفت إلي.

مرت عشرون دقيقة حتى دخل توماس الغرفة، جلس أمامي بعد أن ارتدى قفاز مطاطي جديد، شعور بالرهبة منه اشتعل في داخلي ينفرني منه، مد يده إلى يدي وثبتها مرة أخرى فوق منشفة بيضاء نظيفة على فخذه، والتقط بيده اليمنى مشرطًا، ثم رفع بصره علي.

_ أنا دائما أقول البداية هي الأصعب على الاطلاق، لكن معك الآن أجد الأمر أصعب، وكأنه المستحيل بعينه، ولكنه عملي وعلي أن أتمه.

والآن

هل وجد ستيل أحجار الجحيم؟

أجبته دون أن أفكر بعد أن اتضح لي ما يمكن أن يفعله بي توماس:

_ نعم.

بدت إمارات الراحة على وجهه فأكمل:

_ أين يقيم ستيل اجتماعاته السرية؟

_ في قاعة سرية في الجبل الأحمر.

ولثلاث ساعات أكمل أسألته جميعها، وأنا ظللت أجيبه عليها بلا اعتراض واحد، فقد تعلمت درسي، ما كنت لأظن في حياتي بأنني سأجلس في موضعي هذا، لكن اليوم هو واقعي وحقيقتي، اليوم جلست وللمرة الأولى على كرسي التعذيب.

انتهى من أسئلته، ورضي بإجاباتي، ترك يدي لأعقدها مع يدي الأخرى أمامي في محاولة لحمايتها، وحمايتي، وكأنني سأنجح في ذلك.

_ أستقتلني الآن؟

_ عفوا؟

_ أخذتم مني معلوماتكم المهمة، لا يوجد سبب لبقائي هنا، بل أنا دليل على اختطافكم لي.

تراجع إلى الوراء، وفكر قليلا، ضاقت عيناه ثم قال:

_ عجبا آستر هل تقنعيني بضرورة إعدامك؟

يا لي من حمقاء، لمَ لا أضع رصاصة في رأسي وأنهي الأمر!

_ لم أكن أقصد، أنا فقط وددت أن أعرف ما يحمله لي المستقبل.

obeikan.com

رد هو:

_ لم تأتي الأوامر بقتلك حتى الآن، كما أن ستيل يعلم بأمرنا، أنت حرصت على هذا.

دار ببصره حوله متململ، ثم قال:

_ لنذهب من هنا.

وقفت وقلت بلهجة ساخرة رغم خوفي منه:

_ نعم لنغادر من هنا، فالهواء أصبح ثقيل للغاية.

رفع حاجبه الأيسر مندهشا من جرأتي، يالا لساني الطويل، لمَ لا أملك السيطرة عليه أبدا، خفضت بصري خشية غضبه، وتقدمت لأسبقه إلى الباب، تبعني هو ودس مفتاحه الالكتروني الذي يشبه بطاقة عمل ورقية داخل الباب ثم أخرجها، ففُتح الباب منزلقا إلى داخل ما يشبه الجدار، أعبر قبله متجهة إلى غرفته التي اعتدت البقاء في خزانتها، لكنه يوقفني بيده التي تشدني من كتفي إلى الوراء لأكون أكثر قربًا له، ثم يدفعني برفق نحو باب غرفة تجاوره، فيلتصق ظهري بالباب وهو يقابلني واقفا، أشعر بأنفاسه الحارة على وجنتاي، وقلبي المرتعد يزيد من عدد دقاته وكأنه ينقصني موقف مرعب آخر، أسمع صوت أنفاسه، يده اليمنى ترتفع لتمسح بظهر أصابعه وجنتي اليسرى بحنان، رفعت وجهي إليه ووجدته يقول:

_ مازلت أحبك يا آستر... مهما حاولت لا أستطيع نفظك من رأسي، لمَ أحلم بروحك الجامحة كل ليلة!

أحاول أن أدفعه عني برفق، لكنه لا يتزحزح عن مكانه، فأقول وكأنني اكتسبت قوة باعترافه الأخير.

_ ماذا تفعل يا توماس؟ أتغوي امرأة متزوجة بعد أن تعذبها، أتساءل حقا هل يوجد للوقاحة حد عندك؟

يتراجع إلى الوراء قليلا بائسا من أفعاله المشؤومة وكلماتي الصريحة، فأبتسم بخبث، نعم لقد آلمت قلبه الأسود ذاك وقد كان شعورا رائعا، يخرج بطاقته من جيبه ويفتح لي الباب.

_ ستنامين الليلة هنا، تستحقين مكافأة على المعلومات التي أدليت بها.

تراجعت حتى دخلت الغرفة، مازلت أبتسم له حتى فرق الباب بيننا فغادر واختفى من أمامي، عجيبة تلك القوى التي شعرت بها فور اعترافه لي، وكأنه هو المعذب وأنا المسيطرة عليه، أهذه القوة التي تتفاخر بها النساء على معشر الرجال؟ أنكسرهم بمشاعرهم ويكسرونا بقوتهم؟

ألتفت ورائي، فوجدتها غرفة هادئة، سرير متوسط بجانبه منضدة بسيطة، تحمل صينية طعام، وفوق السرير منشفة وبجامة قطنية مخططة بالأبيض والأزرق.

هل عقدة ذنبه جعلته يفعل كل هذا، أتمنى ألا يشعره ذلك بالتحسن أبدا.

استلقي على السرير لأبكي وأبكي، كم أنا بحاجة لتفريغ مشاعري، ألم الخيانة، أم الألم المادي يحطمني، كلامهما مر وكلاهما يهاجمني، وأغفو وسط دموعي.

لمَ يعيدني إلى هنا باستمرار، لمَ هو مستفز هكذا!

كم أكره غرفته، أستطيع سماع صوته من هنا يلقي الأوامر كل خمس دقائق، ويصبح الأمر غير محتمل حينما يغضب ويبدأ بالصراخ في وجوه من يعملون تحت إمرته، بالرغم من أنه يفصلنا باب عريض، إلا أن أطرافي ترتجف حينما أسمع صراخه لسبب ما، فهو لا يحقق معي إلا وهو في قمة غضبه، بالطبع بعد أن نزع ظفر إبهامي، لم أقوى على إخفاء أية معلومة عنه، أصبحت له شفافة أنقى من قطرات الندى، مازلت أتألم من جرحي رغم أن أليكس يقول بأنه شفي بالكامل، إنها فقط مسألة وقت لينمو الظفر من جديد، لكن هو لم ينزع فقط ظفري بل نزع ثقتي به أو بغيره وقبلها كبريائي، جميعهم سيفعلون أي شيء إن كان بالثمن المناسب، كلهم يخونون بالسعر المطلوب، جميعهم بهم شياطينهم الصغيرة تحرضهم بخبث على الأذى.

تتذبذب الإضاءة لعله عطل أصاب المبنى.

تنطفئ الإضاءة هذه المرة، وتمر ثلاث ثوان بعدها، أسمع صوت الباب ينزلق، لعلها حالة طوارئ، أقف بتردد، هل أغادر لا يبدو أن توماس أو أي أحد هنا.

أخطو بحذر خارج الخزانة، وكأن كمين يترقبني، لا أرى شيئا، ولا أسمع صوتا، فقط برودة الصفيح المعدني من تحت أقدامي العارية، تعود الإضاءة لكنها متقطعة، وصوت الإنذار المرتفع المزعج يوتريني، ألمح السلاح الخاص بتوماس مع بطاقة التصريح، المفتاح الذي سينولني حريتي، أنتشلها بخفة في طريقي إلى الخارج، داعية الله ألا أقابله بعد اليوم، لعل ستيل اكتشف سجني، وهاهو سيخرجني من هنا، لعلّه السبب في كل هذه المعمعة، أقطع الممر الطويل مهرولة، الغرف الفارغة تترامي عن اليمين وعن اليسار، وأخيرا ينتهي الممر، ويظهر باب كبير، أكبر حجما من أبواب الغرف، أبحث عن التجويف الخاص بالمفتاح، وأخيرا وجدته بصعوبة، أرفع المفتاح لأدسه بداخله، لكن الباب يفتح قبل أن أفعل، لا سيكتشفون أمري الآن، وسأعاقب، ربما توماس سينزع ظفرا آخرًا، ويدمي يدي، فُتح الباب وكان خلفه رجل يرتدي زيًا رسميًا أسودًا، وعلى كتفه بطاقة بلاستيكية كتب عليها نائب المدير كريس جوناثان.

كنت قد استعددت للاستسلام على الأقل حتى يجدني ستيل، توقعت بأنه سيكبل يداي بالحديد، ويعيدني إلى سجني الضيق، حتما سيشي بي إلى توماس.

لكنه قال بقلق:

_ آنستي فريق الأمن أعطى الأوامر بالرجوع إلى مهاجعكم، عليك أن تعودي أنتِ أيضا.

وغادر دون أن يجبرني أو حتى يبلغ عني، هل أنا سجينة مجهولة هنا؟ أليس هذا بسجن؟ عبرت من الباب وأنا أنفض هذه الأفكار من رأسي فهي لن تنفعني الآن، هدفي الأول الخروج من هنا، خارج الباب شرفة ضيقة بطول عشرون مترا على طولها توجد خمس أبوب أخرى كالذي خرجت منه، ويتفرع منها خمس سلالم حديدية تؤدي إلى الأسفل، فنزلت مع أقربها إلي استقرت الأضواء، وتوقف صوت الإنذار، ورغم أنه كان مزعج ومثير للأعصاب، لكن الهدوء أثار خوفي أكثر وأكثر، كانت السلالم تنتهي بوسط قاعة واسعة، تعلونا قبة حديدية كئيبة، يمشي الناس حولي في جميع الاتجاهات، يدخلون ويخرجون من أبواب متفرقة، لا رجال أمن ولا حراسة، بل إنهم عوائل بدى عليهم الثراء والدلال، تحت السلالم يوجد باب واحد، إنه أكبرهم، لعله المخرج من هنا، سمعت صراخ توماس غاضبا:

_ آستر توقفي مكانك.

كان صوتا مدويا، أوقف معظم الناس عن التحرك، وأجبرهم على الحملقة به.

رفعت بصري إليه ووجدته في الأعلى يقف، والغضب يشتعل في جسده كله، كان مخيفا، لم أره غاضبا هكذا في حياتي، أردت أن أعود إليه وأعتذر عن الخطأ الكبير الذي قمت به، عن جميع إخفاقاتي، لكن لا، لست أنا، الإمبراطورة لا تخضع لأحد، وجدت داخلي عزة بنتها ظروفي المستحيلة، تجاهلته وهرولت نحو الباب الحديدي دسست به المفتاح لكنه لم يعمل، فقلبته ودسسته به مرة أخرى، وألتفت خلفي إنه توماس، يهرول نحوي، وجدته أمرًا غريبا أن يهرول بسرعة البشر وهو يصرخ بغضب الدنيا.

_ توقفي أيتها...

أليس بطلا خارقًا، لمَ لا يستعين بقوته؟ أم هو متخفٍ هنا أيضا!

فُتح الباب ودلفت إلى غرفة من أربعة أمتار إلى ستة أمتار، وأُغلق الباب قبل أن يدخل توماس، سمعت صوت ارتطامه به، فضحكت في داخلي، فهو يستحق أكثر، لكني توترت أكثر وارتعشت يداي مع صوت صراخه مهددا ومتوعدا بعقابي، لديه هذا الصوت الغاضب يزلزل ثقتي ويقيد حركتي، الباب الآخر كتب عليه (تحذير مخرج)

هدأ صوته وبدأ أكثر تعقلا:

(أستر لا تفعلي لا تخرجي ستُقتلين في الخارج)

اكتفى من التهديد، وهاهو يحاول إخافتي عبثا، سأخرج من هنا، وإن كانت جثتي الساكنة هي الثمن، دسست البطاقة مرة أخرى، لكني وللمرة الثانية أخطئ في إدخالها فأخرجها، وفي لحظه خروجها بدأت الالواح المعدنية المحيطة بالمبنى بالارتفاع، وأخيرا سأرى ما بالخارج أو ربما سأخرج لأرى بنفسي، نظرت إلى الخلف فوجدت ألواح الحديد قد ارتفعت عن الباب، وعن القبة العظيمة التي تعلو القاعة من خلف الباب وتوماس ببطء شديد، لأرى الجميع يبحلق بي بنظرات مرعوبة و أيدي

منقبضة، توماس منهمك بمعالجة قفل ما على الباب بحركات يده السريعة، كان يتعرق ووجهه محمرا محتقنا، عدت إلى الأمام لأرى ما ينتظرني، وكان هناك أمامي الأفق الذي فجر مفاجأة مرعبة بداخلي، كان أرعب منظر رأيته في حياتي، وأجملها! كيف يعقل، كيف وصلنا إلى هنا ومتى! صدمت حتى النخاع بما رأيت.

رأيت الكرة الأرضية تسبح في مدارها وسط الفضاء، الباب الذي أمامي هو مقبرتي إن لم ألتفت إلى الخلف لكنت أسبح هناك فوق سطح القمر، أختنق ويتحطم جسدي بفعل الضغط وأتجمد بردا في آن واحد.

هالني الأمر، وأغضبني بشدة، لم يحق لهم فعل هذا، لم يحق لهم خطفي، أما خطفي وسفري عبر الفضاء، وإقامتي على سطح القمر دون علمي، هذا مستوى آخر من الخطأ.

فتح الباب الذي يقبع خلفي، وقال توماس بصوت هادئ، إنه هادئ كقطة منزلية لا يوحي بالشر، بالطبع فحياته وحياة من بالداخل في خطر الموت.

_ آستر لا تخرجي ستموتين لكن ستعانين أولا.

رفعت المفتاح ووضعته على طرف التجويف وقلت له بلهجة ساخرة:

_ هذه نبرة صوت تعجبني لمَ لا تلتزم بها.

يتقدم خطوة ونسبة التوتر ترتفع وتظهر على صوته.

_ لا تفعلي الناس هنا أبرياء لا دخل لهم بنا.

ربما هو على حق، لم أكن لأقتل بريئا سابقا، ولست على صدد بدء ذلك الآن، كما أنه نجح في إخافتي من الموت البارد في الخارج، لكنه هو من يستحق القتل هنا.

رميت المفتاح على الأرض، ورفعت المسدس ووجهته إلى وجهه، قلت له متحدية:

_ ربما سأقتلك أنت فقط، أنا أعرف هذا النوع من الأسلحة، إنه مخصص لنوعكم الفريد، السم الذي بداخله لن يمنحك وقتا طويلا.

تقدم ببطء مني بخطوات واثقة ثابتة حتى كاد جبينه أن يلتصق بالمسدس، وقال:

_ سأمنحك فرصة واحدة لقتلي.

لمَ هو هكذا، يتحداني حتى في استسلامه، اِنتظر لثلاثين ثانية، شللت خلالها، لم أقدر على قتله، رغم كرهي له، رفع كفه اليسرى، وغطى بها مسدسي، أجبرني على إنزاله إلى الأسفل، لكنه لم يأخذه مني، فقط بقي حتى ألمني أصبعي، ولمحته ينزف دما، فتذكرت لحظة انتزاع الظفر، لحظة انهيار شيء جميل في قلبي، إنه يستحق هديتي الصغيرة هذه، اشتهت نفسي الانتقام،

وبكل قوتي، وبنظرات تملؤها الحقد والغضب، أطلقت النار على كفه فاخترقتها الرصاصة، ولم يرفع نظره عني ولم أفعل، أردت أن أرى ألمه، ورأيته تألم بصمت، فقط آهة مكتومة فشل في إخفائها، ثم أخذ المسدس مني بيده اليمنى قائلا وكأنه يبتسم وكأنني رأيت صديقي كونر:

_ هذه ستحدث ندبة.

وجدتها نكتة، نكتة سخيفة، فضحكت ضحكت بجنون، كما لم أضحك من قبل، ثم اتبعت قهقهتي ببكائي، يالي من مجنونة، وجلست كي أرتاح، لم يكن هينا ما مررت به، وصل أليكس مهرولا ليساعد في السيطرة علي، نظر إلينا في ضيق، ثم وقف يتفقد يد توماس.

_ علي أن أعالجها الآن، وإلا ستصاب بالتسمم، لنأخذك إلى العيادة حالا.

أخذوا مفتاح توماس بعيدا عني، وتركوني هناك بجانب الباب، إنهم يعلمون بأنني لن أقدر على الهرب، تأملت سطح القمر كم هو مختلف عن الأرض، رمادي قاحل قبيح، كل ما فكرت به، إنه مكان يحبسني مع أعدائي عن أحبابي، لا مجال للفرار، فكرهته أكثر، أما الأرض الجميلة التي تستقر على بعد مئات الأميال منا، تتزين باللونين الأخضر والأزرق، تختال كزهرة قرنفل كروية باهرة، لا عجب أن ستيل لم يجدني، ولن يجدني ما دمت هنا.

مرت بضع دقائق حتى وصلت جسيكا غاضبة:

_ماذا فعلت أيتها الحمقاء، توماس قد يموت بسببك!

وقفت مسحت دموعي، ونفضت ثيابي من غبار خيالي، وقلت لها بابتسامة ساخرة:

_ لا تقلقي عليه سيعود إلى الحياة كما المرة السابقة.

هجمت علي قابضة على ياقة بجامتي، يمكنني الشعور بحرارة أنفاسها العنيفة، حاجباها منعقدان بشدة، ووجهها احتقن احمرارًا:

_ أيتها الحشرة الغبية من تظنين نفسك، إذا مات مسؤوليتك ستتحول إلي، وسأكون أكثر من سعيدة لتمزيق جسدك الواهن هذا.

ودفعتني بعنف نحو الحارس الضخم ليحيطني بكلتا يديه.

_ خذها إلى زنزانتها، إلى خزانة توماس.

نجحت في إفلات نفسي منه، ومشيت أمامه.

_ أعرف طريقي.

لا أريد أن تلمسني أياديهم القذرة، تكفيني نظراتهم التي تتهمني بالخيانة، يرمقونني باحتقار وبغض، كما كانوا مع ستيل، أتمنى أن أكون قوية، ألا أتأثر بهم، لكنني لست إلا وحيدة هنا، ربما كنت قوية مع ستيل، كنت أحترم وأحمي وأخدم، كنت إمبراطورة، أما بدونه هنا، لست إلا سجينة لا يحق لها أن تختار حتى نوع وجبتها التالية.

ما يثلج صدري هو أنني انتقمت لذاتي، شعرت بقوتي واستخدمتها عليهم، ومن ثم سخرت منهم، هذا ما أسميه انتقاما كاملا، وإن عاد علي بالهلاك.

كان أليكس يجلب لي طعامي ثلاث مرات في اليوم، ويفحصني في المرة الأخيرة، مازلت سجينة في خزانة صغيرة أُسميها غرفتي، حرمت حتى من آلة الكتابة التي كنت أتسلى بها، فقط أفكر وأفكر وأفكر، مرت ثلاثة أيام على هذا الحال ولا يبدو أن توماس قد عاد إلى غرفته، هل من الممكن أن يكون قد تأذى بشدة؟ ومن يهتم، أنا حتما لا أهتم لأمره، كل ما أخافه هو أن تستلم جسيكا القيادة، منذ النظرة الأولى في المشفى عرفت بأنها تكرهني، ولن تجعل حياتي سهلة هنا أو في أي مكان آخر.

ينزلق باب الخزانة ليدخل أليكس ومعه وجبة الغداء، يضعها ويهم بالمغادرة، لم أقاوم رغبتي فوقفت وسألته بتردد:

_هل توماس بخير؟

التفت أليكس إلي مندهشا رافعا حاجبيه إلى الأعلى، وكأنني ارتكبت إثما عظيما بسؤالي، جعلني أشعر بأن علي أن أبرر له سؤالي.

_ لأني مرتاحة هنا بدون صوته المزعج، وكم أتمنى ألا يرجع.

_ إنه بخير، سيعود بعد يوم أو اثنين، استطعنا لحسن الحظ استخراج السموم قبل أن تنتشر في بقية أنحاء جسده.

فرحت بداخلي وشعرت بابتسامة على طرف فمي، لكنني قلت مصطنعة السخط لأبعد تهمة الراحة عني:

_ يا له من خبر مزعج، أردته ميتا.

ابتسم لي أليكس وكأنه يكشف خداعي، وغادر بصمت، علاقتي بتوماس معقدة، مازلت أحقد عليه، لكنني في المقابل أتذكر كل ثانية دافع عني خلالها في السجن، أتذكر تعرضه للضرب المبرح، أتذكر قبلته الدافئة التي ودعني بها، أتذكر منظره المرعب وهو يرمى من على الشرفة وصورته المخيفة وهو مستلقٍ في الأسفل بلا حراك.

أجزم مئة بالمئة أنه إن كان وحيدا لربما لم يكن سيتعرض لذاك العذاب.

وما قيمة الظفر مقارنة بروحي التي أنقذها ذلك اليوم.

هل أنا محقة؟ هل أسامحه؟ هل أخذت حقي منه حين أطلقت النار على يده!

متسامحة بزيادة أم ساخطة بزيادة!

مر اليومان هادئان، وجبات الطعام تصل إليّ وتغادر بصحبة أليكس، أما توماس فقد عاد في اليوم الثالث إلى غرفته، أستطيع أن أعلم هذا بسبب الشوشرة التي بدأت حين دخل، أتمكن من أن أستمع لأصواتهم وأوامره، وعندما حان وقت الغداء.

دخل توماس بدلا عن أليكس، وهو يحمل في يده اليمنى صينية غدائي، ويده اليسرى قد اختفت إلى حد المرفق وبقيتها ملفوفة بشاش أبيض من مرفقه، وامتد إلى كتفه منتهيا بجذعة كاملًا، لم أكن أتوقع بأن هذا سيحدث له بسبب الطلقة، ظننت بأن العلاج سينقذ حياته ويده، لكن أن تقطع هذا مالم أتوقعه، من الواضح أن نسب تركيز السم عالية جدا، بدا في حالة تعب وإرهاق، إنه بالطبع مفعول السم الذي يفتك بأجسادهم، تنفس هو الصعداء حين انتبه على نظرات اللهفة من قبلي فتضايقت، كيف لي أن أكون شفافة لهم هكذا.

وضع الصينية على الطاولة بجانب السرير وجلس هو بجانبي قائلا:

_ استحققت ما مررت به.

همست له:

_ نعم بالفعل.

أومأ رأسه موافقا وابتسم بحزن:

_ مازلت أتذكر الليلة التي صحوت بها، كان قد مر على الحادث عشرة ليال، صحوت وأنا أشعر بذلك الضعف والهوان الذي اقترفته في السجن، ظننت حقا بأنك قتلت في بقعة الجحيم تلك، كنت غاضبا من بقائي حيًا وفقدانك، عرفوا بأنني أحبك لذا أبقوني في الظلام، قالوا بأنك قتلت، منعوني من الخروج وأبقوني تحت الحراسة، كما أنني غرقت في بؤسي، لم أرغب بالخروج إلى عالم لست به تتنفسين، أرادوا من ستيل أن يتواصل معك، وظنوا بأنني إذا علمت بأمرك سأجري إليك بحبي، وستقبلين بي في المقابل، وستقطع آمالهم بالتواصل مع ستيل، علمت بأمرك حين فررتم من البلاد، أُفرج عني لأراك على شاشات التلفاز العملاقة، أجمل عروس رأتها عينيّ، لم أدري هل أضحك فرحا لأنك حية تبتسمين، أم أذرف دموع التعاسة؛ لأنك تزفين لغيري.

أليكس أخبرني بعدها بما فعله ستيل في السجن.

وللمرة الأولى أجد نفسي أوافقه، مديونا له بحياتك، هو نجح فيما فشلت به أنا.

أسندت ظهري على الجدار، ونظرت إلى سقف الخزانة الضيقة:

_ قالوا بأنك مت، أليكس وجسيكا زاراني في المشفى، وقالوا بأني الناجية الوحيدة، لن أكذب عليك في بعض الليالي حين تزداد الذكرى مرارة، أتمنى لو أن ستيل لم يلحق بيدي، لو أنني كنت بجانبك، وإن كان يعني موتي، الخروج من البلاد كان الحل

الأمثل للنسيان، لكنك لم تغب عن عينيّ أبدا، تذكرتك دوما كما رأيتك المرة الأولى، الشاب الشهم الذي دافع عن شرفي حتى مماته.

وجدت نفسي أفقد السيطرة على نفسي، وأذرف دموع ذكريات كئيبة.

_ مازلت مدينة لك توماس، أسامحك على ما فعلته، لا يمكن أن أغضب عليك إلى الأبد، حتى لو حاولت.

مسح دموعي من وجنتي بيده.

_ يكفي، لن أسبب لك الأذى مرة أخرى، أعدك بهذا.

ثم وضع يده على يدي، فيبث الطمأنينة داخلي.

_ هناك أمر عليك أن تريه، لنذهب إلى غرفتي.

كان طلبه هادئا مؤدبا، كان كونر، وقف مغادرا الخزانة، وخرجت أنا وراءه، قرب إلي كرسيه الوثير الذي اعتدت الجلوس عليه أثناء جلسات التحقيق، فجلست، أخرج جهازا صغيرا من جيبه، وضغط زرا به، وفي ثانية تحول الجدار كله إلى شاشة عملاقة وظهرت صورة ستيل عليها، اتسعت عينيّ، وما كنت سأصدق إن لم أرى، كان بأسوأ حالا رأيته بها على الاطلاق، التصق جلده بعظمه فصار هزيلا، شحب لونه فصار مصفرا، طال شعره حتى غطى أذنيه.

غطيت فمي بيديّ وأنا أشهق:

_ يا إلهي.

أدرت رأسي مذهولة إلى توماس وسألته:

_ ماذا فعلتم به!

أشاح بوجهه عني وقال باستياء:

_ لا شيء إنه في قصره لم يمسه أحد.

بدأت الصورة بالتحرك، وعلا صوت ستيل المبحوح.

_ كنت سخيفا عندما ظننت بأن السلام قد حل بيننا، لطالما آمنت بغبائكم، لكن ألهذه الدرجة وبهذه الفعلة القبيحة التي ارتكبتموها بلغتم أقصى درجات الحمق، هل حقا ظننتم بأني سأبقى بلا حراك وزوجتي بين أيديكم! هل تظنون الرجل الذي أنهى ألف رجل في ليلة واحدة من أجلها سينعم في فراشه دونها؟ سأنزل الهلاك على رؤوسكم، سترون نهاية العالم أمام أعينكم،

وستتمنون الموت ولن تنعموا به، سيكون لكل منكم موضعه في زنازن الاحتضار، وستموتون ندمًا، أنا لم أقرر هذا القرار إلا بعد أن قلبنا كل حجر بحثا عن آستر، (وتحشرج صوته حين نطق باسمي، وقف لثانية ثم أكمل) لكننا لم نجدها أبدا.

هل تعلمون ما أظنه قد حدث؟

أظن بأنكم عذبتموها حتى الموت وأخرجتموها من هذا العالم!

(هذه المرة صمت وطال صمته، وهو مغمض العينين، وكأنه يقاوم تأثير كلماته على نفسه)

ثم فتح عينيه وأكمل:

_ أنتم تعرفون العالم المنتحر الذي اكتشف أحجار الجحيم، نحن وجدنا كل ما كتبه عنها، وقمنا بتصنيعها منذ سنوات، وخلال الشهرين الماضيين زرعتها تحت مائة مدينة من مدنكم الفارهة، في الحقيقة كنت سأقوم بالتفجير ليلة البارحة، لكن أتباعي قاموا بتنبيهي بالأبرياء الذين لم يتدخلوا في الأمر، أنتم تعرفونهم الذين ليسوا أنتم بالطبع! لذا سيبث هذا على جميع ترددات العالم، كل جهاز يتصل بالشبكة سيتوقف عن العمل، ولن تعرض عليه إلا هذه الرسالة، بعد سبعة أيام من اليوم ستفجر المدن المائة التي سيتلو عليكم أسماءها وزير الدفاع بعد قليل، وستختفي من الوجود.

ثم تراجع إلى الوراء، وقال وكل انتقام الدنيا يخرج مع نبرة صوته، وابتسامة مخيفة ترتسم على شفتيه:

_ ولأكسب هذه العملية نكهة خاصة، لن يستطيع أحد أن يوقف ما يحدث إلا زوجتي آستر جون، وعليها أن تكون حية، ستجدون الجهاز داخل مستودع يقع على ساحل الإمبراطورية.

مال إلى الأمام وقال بعينين تلمعان، وابتسامة مجنونة واسعة:

_ نهاية عالم سعيدة.

أوقف توماس الفيديو ثم انشغل يلملم أغراضه ويدخلها حقيبة ملابس صغيرة قائلا:

_سنرحل اليوم إلى الوطن، لديك عالمًا لتنقذيه.

كنت في حالة ذهول، كنت أعلم بأن ستيل لن يتخلى عني، لكن أن يدمر العالم من أجلي مهما كان زوجا رومانسيا، فإن تفجير العالم أمرٌ غير مقبول، التفت إليّ توماس وهمست بحرج:

_ لعلّه بالغ قليلا.

أنهى توماس جميع الإجراءات اللازمة للاستعداد للمغادرة إلى الأرض، دفع ما عليه لمالك الفندق القمري، والذي يمتلك نوعا خاصا من الفنادق السرية التي لا وجود لها على الأوراق الرسمية، وُجد لإخفاء الهاربين الأثرياء، وعوائلهم من العدالة أو من بعض المنظمات الإجرامية المنافسة، قبض مالك الفندق على ألماساته الثلاثين، ودسها في جيبه بعد أن عدها بجشع، قال بعيون فضولية متلهفة، وصوت رتيب نحيل:

_ أتمنى لو أخبرتني بهوية السجينة، لكنت حجزت لك مقطورتان بدلا عن واحدة، إمبراطورة في فندقي من كان ليصدق.

رد عليه توماس:

_ إذا انتشر خبرها، سأعود لأقبض على الخارجون عن القانون هنا، بما فيهم أنت.

وهم بالمغادرة لولا ملاحقة مالك الفندق له:

_ وماذا عن الفتاة؟

_ سأسيطر عليها.

تمت إجراءات المغادرة بسلام، فقد رافقت جسيكا آستر إلى قاعة واسعة عبر ممر طويل بلغ طوله ثلاثون مترًا، اتسعت القاعة لثلاث مركبات، طول كل واحدة منها خمسة عشر مترا، وعرضها عشرة أمتار، منصة القيادة في مقدمتها تميزها النوافذ الزجاجية الواسعة، فيما يكسو بقيتها المعدن الأسود، يفتح باب في جانب المركبة الأيمن فيدخل الجميع تتقدمهم آستر، كانت الكراسي المزودة بأحزمة عريضة على شكل x على جانبي المركبة، ستة من المقاعد الفسيحة المتطورة، جلست آستر في المنتصف بإشارة من توماس الذي ثبت لها أحزمتها وشدها برفق أكثر من مرة ليتأكد من صمودها خلال الرحلة، وكل مرة يشدها عيناه تلتقي بعينيها على أمل أن يحتفظ بقبس منها بداخله، هي مسترخية تبتسم بسعادة، لعلمها بأن هذا الكابوس على وشك أن ينتهي، جلس هو عن يمينها وجسيكا عن يسارها، فيما جلس أليكس في الجهة المقابلة لهم، يعلن كابتن الطائرة بدء الرحلة.

_ رحلة ثمانية صفر واحد تستعد للإقلاع.

تفتح الأبواب الهائلة الحجم الخاصة بالقاعة الواسعة، لتبدأ المحركات النفاثة بالعمل، فيقودها الكابتن ببراعة وثبات إلى الخارج، ثم تعمل المحركات الرئيسية ليغادر سطح القمر، متجهًا إلى الأرض، كانت الساعة الأولى من الرحلة هادئة مما منح آستر فرصة التحقيق مع توماس:

_ أبهذه المركبة وصلنا إلى هنا؟

يتجاهل سؤالها فتسأل مرة أخرى:

_ وما هذا المقر على القمر، أنا أعلم بأنه ليس منشأة عسكرية، كل شيء رأيته هناك أثبت ذلك، الأطفال، الملابس، العاملين، أهو نوع ما من المؤسسات الترفيهية الغريبة؟

قال توماس وهو يخرج كرة زرقاء صغيرة من جيبه:

_ أتعرفين ما هذا؟

قالت آستر بسرعة وقد ابتهجت بتجاوبه معها، وكأنها استعادت كونر إلى حياتها:

_ لا ما هذا؟

يسحقه بإبهامه فتنتشر في المركبة رائحة مألوفة لها.

_ إنه نفس المخدر الذي أفقدك الوعي يوم الاختطاف.

عبست وقالت بسخط:

_ توماس أيها الحقير لا...

لكنها لم تكمل جملتها الغاضبة، فقد غابت عن الوعي، وتراخى جسدها إلى الوراء، راقبها توماس حتى اطمئن لفقدانها وعيها، ثم التفت إلى أليكس:

_ قاعة الجراحة ستكون مجهزة للعملية فور وصولنا، هل ستكون جاهزًا؟

أومأ أليكس إيجابا:

_ بالطبع سأفعل ما علي فعله.

_ خذ قسطا من النوم، ستحتاج إليه.

فضلت جسيكا السكوت، وعدم التدخل بأمرهما، فهي ستنفصل عن المجموعة فور وصولها إلى الأرض، ولا تحب أن تتدخل بتفاصيل لا تعنيها، كما أنها تخشى توماس، وتفضل تجنبه قدر ما تستطيع، ارتدت سماعتها، وأنصتت إلى موسيقى الروك الصاخبة التي تفضلها على محادثة زميليها التي تشعرها بالضجر.

الفصل الرابع

اِستيقظتُ على صداع شديد يفسد نومي، أتأوه بألم، يقترب مني أليكس وفي يده كأس ماء يمده إلي.

_ أتشعرين بالعطش.

_ نعم.

تذكرت توماس وكرته الزرقاء، أخذت الكأس بيد واهنة، وشربت حتى منتصف الكأس، أصاب بنوبة غثيان فأبعده عن فمي واستلقي إلى الوراء، أغمض عينيّ في محاولة مني لطرد الشعور المزعج بالغثيان، حكة رهيبة في جانب رأسي تصيبني بالجنون، أرفع يدي علي أن أشبع غريزتي في كشطها، لكنني أتفاجأ بقطعة شاش تغطي رأسي، التفت لأليكس ثم إلى توماس:

_ ماذا فعلتم بي؟

قال أليكس بلهجة الأطباء، وبصوت متزن وبنغمة واحدة:

_ تعرضنا لحادث قبل وصولنا، وتأذيت في رأسك لكننا...

قاطعه توماس حازما:

_لا لم يحدث شيء من هذا، ستعرفين حين يحين الوقت.

علمت بأن أليكس لن يجرؤ على مخالفة توماس، هو لن يتفوه إلا بالكذب أو لن يتحدث على الإطلاق، لذا وجهت كلماتي إلى توماس:

_ بماذا أمرتهم؟

_ لم تكن أوامري، كما أنك ستكتشفين كل شيء خلال ساعات.

بدا بغيضا للغاية وكأن كونر قد عاود الاختفاء.

_ خيانة أخرى، كان علي أن أتوقع هذا.

تجاهلت وجودهم، يا لجسدي الواهن، ما الذي يعطيهم الحق في نقلي هنا وهناك، تجويعي وتعذيبي وإجراء عمليات مجهولة غصبا وظلما، لم أعد أمتلك نفسي منذ أن اختطفت، أصبحت دميتهم الحية، أوه يا آستر الفتاة الحالمة وأنت التي ظننت بأن الأرض خلقت لتتدللي عليها، والسماء علتك لتنعمي بالنظر إليها متى شئتي، قمت بصعوبة من سريري، أراد أليكس أن يسندني عليه ليسهل لي عبوري إلى الحمام، لكنني دفعته بعيدا عني.

_ لا تلمسني.

لسوء الحظ، ولأنه من الخارقين، لم يتحرك هو، بل أنا التي فقدت توازني، وسقطت أرضا، إنه لمن المحبط حقا أن يحيط بي الخارقين من جميع الاتجاهات، مذاق المهانة والحرج صار طاغيا حتى ما عدت أتعرف على الأحاسيس الأخرى، اعتدت الوهن اعتدت الذل اعتدت كل مسبب للبؤس، نظرات الشفقة بدت عليهما مما زاد من حنقي، قمت بصعوبة واتكأت على الجدار، مشيت بعناء حتى دخلت الحمام، أغلقت الباب بالمفتاح عدة مرات، وكأن الماضي القبيح يعود إلي لكنه أسوأ وأمرّ من حياتي في تلك الشقة الضيقة والسجن القمري.

اللون الأبيض يطغي في هذا الحمام، صغير جدا، لمبة واحدة دائرية تنتصف السقف تنيره بامتياز، ومغسلة بجانب الباب تلفت انتباهي، تعلوها مرآة صغيرة وهذه هي مبتغاي، وقفت أمامها وفككت الشاش عن رأسي بصعوبة، انتهيت منه ورميته بإهمال على الأرض، رفعت شعري الذي غطى جزء محلوق بجانب إذني اليسرى، عرضه إنش واحد وطوله أربعة إنشات، تبدأ من أعلى أذني، وتنتهي عند مؤخرة رأسي.

كانت خمس غرز، لا أتعرف على الخيط الغريب الذي خيطت بها فروة رأسي، لعله نوع متطور من التقنية التي قد توصل له العلم في غيابي، تحسست الغرز بيد مرتجفة أتساءل حقا ما الذي كان عليهم أن يفعلوه في وقت حرج للغاية، العالم قريب جدا من خسارة مائة من أبهى مدنهم، يطرق الباب توماس ويظهر صوته:

_ سنغادر بعد ساعة إلى حيث الجهاز في المستودع المهجور، تركت لك ملابسًا على السرير، ارتديها، سننتظرك في الخارج.

لن أجعل هذه الغرز القبيحة تفسد علي يومي، كل ما يهمني هو عودتي إلى ستيل، أعود إلى سريري، وبصعوبة ارتدي ملابسي، بنطال أسود وقميص أسود طويل الأكمام، جوربان أسودان ثقيلان ليحمياني من البرد في هذا الشتاء، وحذاء رياضي أسود، وأخيرا أرتدي المعطف الرمادي الذي يصل إلى ركبتيّ.

خرجت من الغرفة الصغيرة، فوجدتهم بانتظاري في ممر ضيق طويل، مشيت من أمامهم، وقلت باحتقار:

_ من المكتئب الذي اختار ملابسي، لم أكن لأمانع لونا أو اثنين.

أستطيع أن أعرف أن أليكس هو من اختار ملابسي، فقد أمتقع وجهه لثوانٍ، على الرغم من تجاهلهم لجملتي... إنه شعور جيد أن أجد ثمارا لكلماتي، وإن كانت صغيرة لكنها بالتأكيد شهية.

تقدمني توماس بخطوات واسعة، وخلفني أليكس، أمشي ببطء وأنا أتكئ على الجدران، أشعر بالدوار، وكأن الأرضية تميل من تحت أقدامي، نصل لدرجات ضيقة أصعدها بصعوبة، وصلت لنهايتها لأجد نفسي فوق سفينة حربية، حاملة الطائرات، كان الظلام يغطي أمواج البحر لكن لا يخفي أصواته الهادئة، إذن لم يكن بي دوارًا، بل الأرضية كانت فعلا تميل بي يمينا ويسارا، لأول مرة منذ أشهر أشتم الهواء الطازج من السماء إلى رئتاي، إنه هواء موطني، إنها بحار إمبراطورية ستيل هارت، لا يمكنني

أن أخطئها، فنسيم بحار العالم يبدو ملوثا لي، توماس يقف بعيدا عنّا بجانب مروحية عسكرية، يصطف أمامها خمسة من الجنود حاملي الأسلحة المخصصة لضرب الخارقين الممتلئة بالسموم، هل يخطط للقتال أم هؤلاء للحماية فقط؟

تجلس بجانب توماس متقززة منه، تحاول بشدة ألا تلامسه، لكن الهليكوبتر الممتلئة بالجنود تدفعها نحوه بقوة، أما هو يتمنى أن يحتويها، وأن تسامحه أوحتى تسامحه فقط، لتعود تلك النظرات الصديقة، والكلمات الرقيقة، تخاطبه بدلا عن غضبها الذي لا يلومها فيه، تتحسس الجزء الصغير المحلوق من رأسها بجانب أذنها، خمس غرز تجهل سبب وجودها، سألت مرارا وتكرارا عنها توماس، أليكس، لكن التجاهل والخداع كان من نصيبها، تقلقها مسؤوليتها الثقيلة، فهي الوحيدة على القادرة إنقاذ العالم حرفيا، تنظر إلى سبابتها وتتسأل! هل هذه البصمة الصغيرة تملك كل هذه القوى، القوى التي سلمها ستيل هارت إليها فقط، ليتمكن من رؤيتها بعد أن غابت عنه تلك الشهور، أو لعقابهم في حال موتها؟ هل يشتاق إليها بنفس قوة شوقها إليه؟ كم تتمنى أن تدخل في أحضانه لتنعم بأمانه! تريد أن تخبره بحبه الذي أحرق قلبها بفراقه جورا، تريد أن تعيش حياتها كزوجة مستقرة آمنة، تريد منزلا تأثثه كما تريد، وحديقة تزرع بها ما ستطبخه من خضار، الحياة البسيطة هي ما تتمناه الآن، تريد أن تتلقى أخبار والديها، من المفترض حسب الخطة العلاجية أن يكونا بخير، مستيقظان، يأكلان بلا أنابيب، ويمشيان ويشتاقان إليها كما تموت شوقا إليهما.

كل ما تتمناه أن يكون لستيل خطة لينقذها منهم بأقل خسائر ممكنة، مع توقعاتها بأن توماس لن يسمح بهذا الشيء ستكون بالتأكيد له خطة بديلة، عيناه منشغلتان بالتفكير، معلقتان في الظلام.

توقفت المروحية أمام المستودع الكبير، نزل الجنود وآخرهم قائدهم توماس، مد يده ليعاون آستر للنزول، لكنها تتجاهله وتنزل بجهد مضنٍ دون مساعدته، يحيط بها الجنود من جميع الجهات، ويتقدمهم توماس، يخطون نحو المستودع، كان الباب مفتوحًا بالكامل، وجميع الأنوار تعمل، فتزيل عنهم ظلمة الليل الغامضة، يدخلون بتدريب مدروس، كان جهاز البصمة يقبع في منتصف المستودع، تمسح عينا آستر المكان بحثا عن ستيل، لكنها تفشل في لمح أي أحد، تقف أمام الجهاز بخوف، يأمرها توماس:

_ أنقذي البشرية يا آستر.

يدها ترتجف، تحاول أن تتماسك، وتضع طرف أصبعها السبابة في داخل التجويف الصغير، وتلصق أصبعها على السطح الزجاجي ليتم وخزها بإبرة صغيرة، تأوهت لكنها لم تتحرك، يقترب منها توماس كردة فعل دفاعية، رغم علمه بمقتها له، تتحول لمبة صغيرة حمراء إلى خضراء لتعلن بانتهاء الخطر على العالم، يتنفس الجنود الصعداء، ويتبادلون التهاني إلا توماس وآستر، فهم لا يجدون أثرا لستيل، يقول توماس:

_ لعله لم يأت، ربما كان فقط يريد الاطمئنان عليك.

ثم يخاطب الجنود:

_ لنغادر هذا المكان.

تشعر آستر بخيبة أمل عارمة، وبآلام مقيتة داخل جوفها، من المستحيل أن تعود إلى ذلك السجن، ليس بعد أن لامست أقدامها أرض موطنها، لكن صوتا مألوفا واثقا يعيد إليها الأمل.

_ بهذه السرعة، ألن تبقوا للعشاء؟

ضحكت آستر مبتهجة، وأرادت الركض إلى أحضان ستيل، لكن الجنود الخمس من حولها منعوها من التحرك خطوة واحدة في أي اتجاه.

تقدم ستيل ليدخل من باب المستودع الرئيسي، وهو يرتدي لباسا أسودًا بالكامل، ما عدا جزءً صغيرًا في طرف كمه خطط بالأحمر الدموي، ليميزه عن بقية جيشه الذين ظهروا بكثافة من جميع الجهات، يحملون الأسلحة الغريبة في شكلها، أسلحة نحيلة خفيفة دلت على تطور جيشه.

قال توماس دون أن يتحرك:

_ لم نأت للقتال يا ستيل، إنما نحن هنا لعقد اتفاقًا.

قال ستيل بسخرية:

_ خسرتم مقعدكم على طاولة المفاوضات خلال السنة الماضية.

_ مازلنا نمتلك نفوذًا عليك.

وأشار إلى آستر.

ثم قرب ساعة معصمه إلى شفاهه.

_ الآن.

بمجرد ما أنهى كلمته علت أصوات انفجارات مكتومة حوله، وآستر وتبعها تساقط جنوده حولهما صرعى، فزعت آستر من موتهم، أعينهم الجاحظة، لم تتوقع رؤية موتها بهذه البساطة، أدمغتهم المتناثرة غطت مساحة صغيرة حولهم.

على الفور أمتقع وجهها، وتحسست غرز جانب رأسها، ثم انهالت ضربا لتوماس، وتصرخ به غضبا.

_ ماذا فعلتم بي، ما الذي وضعتموه داخلي.

أما هو فقد اكتفى بالصمت، وتلقى ضرباتها الضعيفة التي بالكاد يشعر بها.

obeikan.com

ارتعب ستيل من فقدان زوجته حبيبته، فأشار إلى جنوده ألا يطلق أحدا منكم.

ثم صرخ غاضبا، وهو يحاول أن يتماسك:

_ هل وصلت حقارتكم إلى هنا؟ أتزرعون المتفجرات في أجساد النساء؟ لمَ لا تحاربون كالرجال؟ أم فقط تختطفون وتغدرون.

لم يجد توماس ما يقوله، فهو يعلم أن كلام ستيل حقيقة، لكنه لا يمتثل له، عليه أن يحمي العالم من أمثاله، وهذه مهمته، وهو سينفذها مهما كان الثمن.

كانت آستر قد شعرت بضعف في ركبتيها، فاكتفت بالجلوس على الأرض، تجهش بالبكاء، إنها المرة الثانية التي يخونها فيها كونر أو توماس، وكما كان سببا في إنقاذ حياتها، سيكون الآن سببا في قتلها!

قال ستيل بحزم:

_ ماذا تريدون؟

رد عليه توماس:

_ استقل من مركزك، وعِش في منفًى نختاره لك.

قال ستيل:

_ وماذا عن آستر؟

_ يمكنها أن تعيش معك إن أرادت، أو في منفًى مختلف.

_والإمبراطورية؟

_هم لا يهتمون بها، يمكنك أن تولي عليها من تشاء.

عاد ستيل إلى الوراء بضع خطوات، وأطال الحديث مع أحد الجنرالات الذي يبدو بأنه ساعده اليمين في إدارة البلاد واشتد النقاش بينهما، ثم هدأ الوضع.

وعاد الصمت إلى المستودع.

صافحه ستيل بيد من حديد، وودعه قائلا:

_إنهم أمانتك فاهتم بهم.

قال له الرجل:

_ اعتني بنفسك، وبآستر.

ثم مشى ستيل بخطوات واثقة، يودعهم جميعا بإشارة واحدة من يده، ورد له جيشه التحية بخشوع، وصل إلى آستر واحتضنها برفق، قائلا لها بصوت حنون:

_ اشتقت إليك حد الجنون.

عانقته هي الأخرى بقوة، وأخيرا إنه الرجل الذي تعشقه، إنه الأمان الذي تبحث عنه، إنه الروح القوية التي تعتمد عليها، إنه ستيل هارت.

عاونها برفق على الوقوف، وقال لتوماس دون أن يلتفت إليه:

_ أعجبت بك أكثر عندما كنت ميتا.

ثم أكمل بلهجة آمرة أظهرت هيبته، رغم انغماره في مستنقع الأسر:

_ لنغادر الآن.

اختفى الجيش في دقائق معدودة امتثالا لأوامر القائد الجديد.

صعدا على الهليكوبتر، وجلس توماس في المقدمة ليطير بهم لمدة ثلاث ساعات متواصلة، نامت آستر خلالها في أحضان زوجها، وهو يضمها إليه برفق خوفا من فقدانها لمرة ثانية.

توماس تقتله الغيرة، وهو يرى حبيبته زوجة رجل آخر، ويمني نفسه بتجاوز الحب الذي لم ولن يكتب له النجاح، كل ما يقول في نفسه، الحب شيء غبي للغاية ومن يقعون فيه هم الحمقى أمثاله.

يصلون إلى السفينة الحربية التي تنظرهم على متنها طائرة خاصة صغيرة.

يترجل الجميع من الهيلوكوبتر، يستقبلهم ثلاثة من رجالات الجيش التي تزدحم أكتافهم بالأوسمة، يمد أكبرهم عمرا وأكثرهم هيبة يده إلى ستيل مصافحا، والذي تجاهلها الأخير بازدراء.

_ أنا القائد الأعلى لقوات الجيش جونثان.

يكمل الرجل وملامحه الساكنة تهيمن على وجهه:

_ ستنفى أنت وزوجتك في جزيرة صغيرة من جزر المالديف، لن يسمح لكما بالمغادرة أو التواصل مع الآخرين، سيكون الحراس في كل مكان خارج المنزل، ويحق لنا الدخول عنوة للتحقق من عدم فراركما من الجزيرة، الحساسات الخاصة بالقنبلة تحيط الجزيرة بمساحة عشرة كيلو حول البحر.

وبارتفاع ألف وخمسمائة مترًا عن سطح البحر، إذا تم تجاوزها ستنفجر القنبلة أليًا.

قاطعه ستيل عاقدا حاجباه، يضم إليه زوجته الهلعة مما تسمع:

_ أنحن حقا بحاجة إلى سماع كل هذا الكلام الكثير المضجر، دعنا نمضي ثم أرسل ما تبتغي قوله مع حارسك.

قالها وهو ينظر باحتقار إلى الرجل الذي يقف بجانب القائد، فأستشاط غضبا لكنه كتم غيضه، فهو لا يجرؤ على تحدي ستيل هارت، نعم هم ينوون السيطرة عليه، لا إفقاده أعصابه.

_ بالطبع يمكنك المغادرة الآن على اتفاق بأنه لم يعد لك نفوذ على إمبراطورية ستيل.

رد ستيل باستهتار:

_ الحكم لعبة قديمة سأمتها.

غادرهم ستيل برفقة زوجته ممسكا بيدها، وتبعهم توماس، فهو المسؤول الرسمي عنهما، تفوه أحد الضباط بكلمات غير مفهومة، فقبض على كتفه أكبرهم، ونظر إليه بغيظ أسكتت حروفه.

كانت الشمس قد شرقت وهم يدلفون إلى الطائرة الخاصة، لم تكن ممتلئة بالحراس، فقط هما والطيار وتوماس الذي جلس عند أول مقعد وثير يصادفه، وأخرج جهازا ذكيا ليتواصل مع بقية طاقم الحراسة لترتيب استقبال ستيل هارت، أما آستر فقد جلست على آخر مقعد، أبعد ما يمكن أن تكون عن توماس، وجلس ستيل أمامها على الأرض يسألها بقلق:

_ هل أنت بخير؟

لا تزال آستر في حالة صدمة مما رأته في المستودع، فقالت وشفاهها ترجف:

_ ماذا إن سقطت أوتعثرت، هل سينفجر رأسي؟

احتضن ستيل وجهها بيديه، وقال بحنان:

_ لا أظن الأمور تعمل بهذه الطريقة، فأنت الشخص الوحيد في العالم بأكمله الذي يمنعني من إبادتهم، كما أني لن أخاطر بعمل أي شيء قد يؤذيك.

ثم ابتسم وتحدث بحماس:

_ سنعيش في المالديف يا آستر، إنها إجازة طويلة وهادئة، إنها شهر العسل الذي لم نحظ به، ستكون حياة ممتعة منزل لنا يحتوينا أنا وأنت، هذا كل ما أريد لبقية حياتي، ولا مانع من عشرة أطفال يملؤون جزيرتنا.

ضحكت آستر من مزاح ستيل، وأخيرا استعادت ابتسامتها، ثم تذكرت والديها فهي لا تعلم ما الذي حل بهما، انقطعت جميع الأخبار منذ ليلة اختطافها.

_ ماذا عن والدي؟ هل هما بخير؟ هل استيقظا؟

_ نعم إنهما بخير، إنهما مشتاقان إليك، تفاجأوا بشدة حينما عرفت نفسي إليهما بأني زوجك، ونعتاني بالمجنون حينما أخبرتهما بأنني إمبراطور.

ضحكت آستر وقالت:

_ يا إلهي أشتاق لهما بشدة.

ارتفع صوت الطيار، وأضاءت إشارات أحزمة الأمان.

_ نأمل من الجميع البقاء في أماكنهم وارتداء أحزمة الأمان.

قبل ستيل جبين زوجته بعد أن وضع لها حزام الأمان، وجلس في المقعد المقابل لها، ووضع حزامه بدوره.

_ حياتنا الحقيقية على وشك أن تبدأ.

أغلقت آستر عينيها، وإحساس ضئيل بالحماس يدغدغ قلبها، فستيل سيكون لها وحدها، لا عمل يتابعه، ولا دولة تأخذ وقته، فقط هو وهي وحياة كاملة.

مرت اثنتا عشرة ساعة وربما أكثر، حتى وصلنا إلى محطتنا الأخيرة.

كان المطار الخاص على الجزيرة صغيرًا، لكنه يكفي لتحط عليه طائرة صغيرة كطائرتنا.

ترجلنا بسلام، وكأن الطمأنينة قد تنزلت علينا بمجرد ملامسة أقدامنا لأرض الجزيرة، انتهى كل شيء، نحن سويا لن يفرقنا أحدًا بعد اليوم، يمكنني الاسترخاء، أريد أن أنام لأسبوع كامل، أشعر بإجهاد معنوي وجسدي، ما زال رأسي يؤلمني، لكن لا يهمني أمره، هواء الجزيرة منعش جدًا، أدخل نفسا عميقا إلى رئتي، أعوض به عن هواء سطح القمر الخانق، حقا لا شيء أجمل من الطبيعة، تنتظرنا بجانب الطائرة سيارة من نوع جيب رانجلر، تلك السيارات التي نراها في البرامج الوثائقية في إفريقيا، المكشوفة والتي تجابه أسوأ التضاريس وأردى المناخات، جلسنا أنا وستيل في مؤخرة السيارة، وتوماس بجانب السائق في المقدمة، علت أصوات القردة والعصافير وحيوانات أخرى لم أميزها، فقلت قلقة:

_ هل توجد حيوانات مفترسة هنا؟

أجاب السائق الأسمر بصوت هادئ:

_ لا مجرد قردة تلعب هنا وهناك، وطيور تحب الغناء، ما عليك الانتباه منه هي العناكب والثعابين والعقارب، القليل منها سام لكن في حالة حدوث إصابة توجد غرفة إسعاف في المنزل، بها مختلف أنواع الترياق والأدوية، لا تقلقي سيدتي نحن مجهزون بكل ما يلزم لحمايتكم.

تمتم ستيل متهكما:

_ولسجننا.

مرت خمس دقائق حتى وصلنا إلى منزلنا ذي الطابقين، كان بواجهة مطلة على البحر، وخلفية المنزل تطل على الغابة بتصميم عصري مثير للإعجاب، المنزل مطعم بجدران زجاجية، وألواح خشبية مصقولة، له حديقة خلفية واسعة قرابة الألف مترًا، تتنوع بها الأزهار والأشجار العطرة، رائحتها تهدئ النفوس، أكاد أقسم بأنني شعرت وكأن حياتي منذ أن ولدت وحتى اليوم سلسة لطيفة لم تشبها شائبة، وكأن أحلامي الوردية عادت إلي مع أصوات أمواج المساء، وكأن أحلام الطفولة لم تتكسر، لم تتمزق بعنف في الماضي.

وأخيرا، لمست سعادتي وهي تهلل بي، وتبشرني بوصولها إلي.

دخلنا المنزل، وأيدينا متشابكة، أرى ستيل سعيدا بالمنزل اللطيف، نستكشف صالته الواسعة، وأثاثه الدافئ بابتسامات لانهائية، وضع توماس رزمة من الأوراق على طاولة القهوة في منتصف الصالة.

_ هذه الاتفاقية والقوانين، عليكم أن تقرؤونها جيدا، وإن احتجتم إلى أي شيء فذاك "دون" السائق سيوفر لكم كل ما ينقصكم.

لم يجبه ستيل بنعم أو لا، فقط نظرات مبهمة لا أعرف معنًى لها، وأنا تجاهلته، لا أريد أن أتحدث إليه بعد اليوم، إنه يهدد هنائي، ويفسد مزاجي، صعدت إلى الدور الثاني من المنزل، كانت غرفة واحدة لكن فسيحة فاخرة، تباينت جذريا عن الطابق الأول الذي أشعرني بالجو العائلي، هنا أحسست وكأني إمبراطورة من جديد، فأرضية الرخام الناصعة البياض تشعرني وكأنني على عرش ملكي، والنوافذ الرحبة تشعرني بالتحرر والانطلاق، دنوت منها ليصل إلي هدير الأمواج الصافي عذبًا، أجمل من أي موسيقى قد يستمع المرء لها، ستيل في الأسفل يتحدث مع توماس بابتسامة رسمية، تعابير وجهه السياسي يخفي عواطفه ببراعة، يغادر توماس محلقا بعيدا عن هنا، إنها المرة الأولى التي أراه يحلق، دائما ما أنسى بأنه من الخارقين.

أستلقي على الشاطئ، أخذت حماما ساخنا مطولا قبل أن أرتدي قميصا حريريا أسودًا من خزانة المنزل، وأسرح شعري فأتركه محررا ليجف ببط.

أتمتع بنجوم المساء، وهدير الأمواج، لا أبالي للمياه التي تبلل قدميّ، وجزءً كبيرا من قميصي، كل ما أحبه هو مشهد السماء، ورمال الساحل من تحتي.

يطفو ستيل فوقي، وجهه مقابلا لوجهي، مازالت ملامحه مجهدة، والنحول يكتسي جسده، يقول ممازحا:

_ وأنا كنت أتساءل، هل اختطفوا زوجتي مرة أخرى!

_ لا، أظنهم انتهوا مني بعد أن نالوا منك.

استلقى بجانبي ألجأ لحضنه الدافئ، فيضمني إليه بحنان، أشعر بالأمان يكتنفني، أتثاوب ناعسة، لم أعد أذكر آخر مرة غفوت بها في سكينة وراحة.

يقول بصوت مطمئن:

_ أنت متعبة لندخل إلى المنزل، درجات الحرارة ستنخفض أكثر.

_أخذت كفايتي من الجدران، كما أنك ستبقيني دافئة.

قبل جبيني قائلا:

_ بالطبع حبيبتي يمكنك الاعتماد علي.

أصحو داخل أحضان سريري الدافئ، لعل ستيل حملني إلى هنا، كم كنت أتمنى أن أصحو على سماء لا نهائية، وعلى دفء شمس الصباح، لكن سرير وثير بديل لا مانع منه، كل ما أحتاج إليه نفسا عميقا من نافذتي، وإفطارا ضخما لمعدتي.

أستمع لموسيقى الصحون والملاعق التي تعلو من المطبخ، أرتدي صندلي البسيط الأبيض وأنزل إلى الطابق الأول،

ستيل يدندن وهو يطبخ شيئا ما يحترق، على الرغم من نحوله وعظامه البارزة، إلا أن وجهه بدا مفعما بالنشاط، إنه سعيد ومرتاح، حتى حينما حكم، لم تكن له تلك النظرات الحرة.

_ هل اشتم إفطارا من يد الامبراطور.

رفع نظره إلي وحلق حتى وصل إلي، قبلني بشغف على شفتي وحملني على ذراعيه بلطف إلى الجزء المقابل للمطبخ:

_ بل زوجا مجنونا عاشقا.

ينزلني على الكرسي بجانب النافذة التي تطل على شاطئ البحر، يقبل جبيني:

_ لطالما حلمت بهذه اللحظة، دقائق وسيجهز الإفطار.

الأشياء الجميلة تحيط بي

خبز طازج، بيض مسلوق، وجبن، ومربى التوت...

ورائحة حريق تعطر منزلنا الصغير.

وأحبهم إلي الرجل الذي عشقت كل ما فيه، عشقته بعيوبه بمميزاته بجنونه اللذيذ.

يجلس مقابلا لي، تفرقنا طاولة صغيرة تحمل إفطارنا على وجهها، لا يدع يدي اليسرى وشأنها بل إنه لا يتركها مهما جررتها إلي لأقلب سكر قهوتي.

_حسبت أنك صنعت لنا عجة بالخضار.

قال بابتسامة حنونة:

_ لم يخبرني أحد بأن البيض يحترق سريعا، والخضار تحتاج إلى وقت أطول.

أنهينا فطورنا، وحاولت أن أسحب يدي لأقوم من مكاني، لكن ستيل لم يفلتها فعدت وجلست، علمت أنه على وشك أن يقول كلمات تؤلمه، كانت نظراته حزينة مجروحة، فقبضت بيدي الأخرى على يده، وفعل هو الشيء نفسه، ثم رفع عينيه إلي، وقال:

_ أنا آسف، لم أستطع حمايتك.

أوه ستيل المسكين لعله شعر بالذنب طوال تلك المدة، حقا أردت أن أبتسم له، لكنني تذكرت الأيام الكئيبة التي مرت بي، الثقة التي منحتها لأشخاص لا يستحقوها، الخناجر المسمومة التي طعنت بها في ظهري، فقدت سيطرتي على دموعي الجامحة بدلا من ابتسامة زائفة حاولت اصطناعها، فجميع ما مررت به عاد إلى ذاكرتي.

_ حبيبي لم يكن خطأك، إنه خطأهم.

لم أستطع أن أكمل، فسأل:

_ هل آذوك يا آستر؟ هل أساءوا معاملتك؟

قبل أن أجيبه علي أن أعلم ما ستجنيه الحقيقة، ماذا لو الحقيقة تعني مائة مدينة ممسوحة من خريطة العالم، ماذا لو تعني نهاية العالم، يوما ما سأموت، وعندما يكون ستيل حرا، سينتقم كما كان سيفعل، هل سيستحقون ما سيفعله بهم حسمت أمري، وقلت له بعد أن رفعت عينيّ إليه:

_ بالطبع لا، عوملت كأميرة، منحت جناحا واسعا، وعندما يحين موعد الوجبات يزورني الطاهي ليسألني أي الأطعمة أحب، كان عليك أن ترى وجوههم، كانوا يخشون غضبي، ويستجدون رضاي، كنت هناك كما كنت معك إمبراطورة تخشى الأعين أن تطيل النظر إليها.

لوهلة أحسست بأنه ابتسم مصدقا لي، لكنه فاجئني:

_ لمَ تحمينهم يا آستر.

لمَ أنا سهلة القراءة، أتساءل حقا، لمَ لم أتعلم فن الخداع، أريد أن أتعلم الكذب، ربما لأني أبالغ في الادعاء، ربما علي أن أعطيهم أنصاف الحقيقة، آخذ نفسا عميقا لأحاول من جديد:

_ كانوا سيئوا الأخلاق، يعبسون بوجهي، ويحققون معي، يسجنوني لساعات طويلة دون أية وسيلة تسلية، أطعمت الخبز والماء في غالبية الأيام، بعض الأحيان يسمحون لي ببعض اللحم والتفاح، حتى هددتهم أنت بالتفجيرات، انتهى كل شيء سيئ.

رأيته أخيرا مصدقا، قبل يدي، أستطيع أن أرى بكاءه، قمت على الفور واحتضنته، قال بصوت مرتجف وعينين دامعتين

_ اعتقدت أنك قد هلكت، حتى جواسيسي فشلوا في إيجادك، لم أسامح نفسي، ولن أفعل، جننت يا آستر، كنت سأهلك وآخذهم معي إلى الموت، أنا لست حاكما، أنا لست أهلا للحكم، كنت عالة عليهم.

ضممته إلي أكثر، ومسحت على ظهره علي أن أُهدئه

_ انتهى الأمر يا ستيل، ولن نمر بمثله أبدا، نحن معا هذا ما كنت أتمناه، أنت وأنا وشهر عسل يستمر إلى الأبد.

ابتعدت عنه قليلا، مسحت دموعه، وقبلته على جبينه:

_ لنذهب إلى الشاطئ، أريد أن أبني قلعة رملية.

قال بحزن مصطنعا ابتسامة زائفة:

_ نعم لنذهب من هنا.

في بعض الأحيان عليك أن تفتعل السعادة تفاؤلا لتصاب بها.

الساعة الثالثة مساءً...

جفاف حلقي يدفعني للقيام من سريري، ستيل ينعم بنوم هادئ.

أحتاج الى كأس ماء.

المنزل يعمه الصمت، هذا طبيعي، لعل سكان الجزيرة لا يتعدون عدد أصابع اليد الواحدة، أنهي كأسي ليتسرب النوم هربا مني، اشتاق للسماء فأخرج، لست خائفة فالحرس يحيطون بي بخفاء، إنهم يراقبون على الدوام، لكنهم بارعون فلا ألمحهم.

تهدئ نفسي موسيقى الأمواج اللامتناهية، أمشي وأمشي حتى ابتعدت عن المنزل، بجامة خفيفة أرتديها، وفوقها أضع شالًا أسودًا ثقيلًا من الكشمير الفاخر، إنه الأفضل في حال خفت أن يصيبني البرد بالمرض، يضايقني شعري الطويل فأندم على مغادرتي دون ربطتي السوداء، أكتشف مكانا جديدا على الجزيرة، نعم فنحن في مرحلة استكشاف المنفى الراقي الذي أُهدي لنا، إنه مرسًى خشبيًا، يمتد لعشرة أمتار داخل البحر، فضول لذيذ يجرني إليه، فأعبر خشباته الثابتة بقدمي الحافيتين، ينتهي المرسى بسور خشبي بسيط، ويخت صغير مثبت بحبل على السور، إنهم يثقون بتأثير قنبلتهم الصغيرة علينا، يعلمون بأننا لن نغادر ما دمت مهددة بنهاية دماغ متناثر حول جثتي، أرى منزلي من هنا بوضوح، إنه أصغر حجما، يبدو كحجم علبة الكبريت، لساعة كاملة أتأمل أمواج البحر الهائجة، وكأن الرياح غضبت مني حين غادرت منزلي الآمن فزادت من سرعتها ومن برودتها لتعيدني إلى جانب ستيل، أقف معاندة لها، يا لها من عادة غبية اكتسبتها عندما دللت في إمبراطوريتي، البرد يزداد فترتعش أطرافي، صوت ارتطام أرجل بالخشب من ورائي فألتفت، إنه توماس يرتدي لباسه الرسمي، أحببت الفراغ الذي اقترفته يداي على جسده، يده المختفية تصيبني بنوع ما من الرضى، يقترب مني بخطوات سريعة متعجلة، يقول بلهجة صارمة:

_ عودي إلى منزلك آستر، ستمرضين هنا.

لا أجيبه، أعود أتأمل البحر ذو الأمواج المتلاطمة، أنا لن أتحدث إليه أبدا.

يقف بجانبي ينتظر ردا على أوامره، يسأم فيعيد:

_ القانون يمنع المخاطرة بصحتك.

لم أتمكن من مقاومة إغراء الرد عليه:

_ القانون يمنع تفجير رؤوس الجنود.

أتكأ هو على السور الخشبي، متأملا ظلام المحيط.

_ لم يكونوا يوما جنودًا، إنهم بعض المجرمين، وعدوهم بصفحة بيضاء، وهم بغبائهم صدقوا، لقد استحقوا ما حصل لهم.

تراجعت خطوة إلى الخلف مستنكرة ما قاله، شهقت بأسى.

هل نسي بأن رأسي يحمل قنبلة صغيرة، قد أفجر مثلهم، أم هو يتهمني بالخيانة كبقيتهم؟ قلت له بصوت أقرب إلى الهمس:

_ وهل أنا أستحق ما حدث لهم، نهايتهم المقززة؟

انزعج هو مني، فأستقام وقال بلهجته الصارمة التي عادت إليه:

_ عودي إلى منزلك.

يثير غضبي ليرتفع صوتي وأخرج ما اختزنه قلبي عليه منذ اليوم الأول الذي وطأت به قدماي جزيرته الفارهة:

_ أنت قلت بأنك لن تؤذيني، لكنك بالمقابل تخون وعدك، وكأنك تهديني خنجرا فاتنا مرصعا بالألماس وتغرزه في منتصف قلبي.

يرد علي بقسوة دون أن يلتفت إلي:

_ كوني ممتنة لأنه لم يكن وتدا من خشب، لكانت آلامك أشنع.

كيف يجرؤ أن يكون بهذه الغطرسة، كم أكرهه، كم أود أن أمتلك القوة لأقهره، لكنني

تذكرت والداي، علي أن أتغافل عن الماضي، وأبدأ التفكير في المستقبل، كم سأحب أن أقابلهما.

_ بشرط أريد أن أرى والداي.

ألتفت إلي:

_ لا يسمح لأحد من الخارج بمقابلتكما سواء أنت أو ستيل.

_ لا يمكنكم منعهم، ماذا سأفعل؟ أتعتقدون بأنني سأهرّب أسرارًا عسكرية؟ ما كنت أعرفه كله أنت سمعته مني على سطح القمر.

تقدم مني مغتاظا، وقد علا صوته علي:

_ أقسم يا آستر إن لم تعودي إلى منزلك سأحملك بنفسي.

رفعت يدي لأوقفه، ربما علي أن ألعب بالسياسة كما هم يفعلون.

_ سأذهب لكن عليك أن تحاول من أجلي يا كونر، أقصد توماس.

مثلت التلعثم، والارتباك، هكذا خرج من فمي اسمه القديم، الاسم الذي أدين له بالكثير، ربما نطق الاسم الذي حرمته على نفسي هو ما قد ينجح، أرى بأنه تأثر تغير وجهه، وكأنه ابتسم، وكأنه يفضله على اسمه الحالي توماس.

_ سأحاول أن أطلب لك مقابلة، على الرغم بمعرفتي برفضهم.

انسحبت عائدة إلى الشاطئ، وطار هو بعيدا عني، دخلت إلى منزلي الدافئ، مازال الهدوء هو المسيطر الأول هنا، إنه الضجيج الذي يثير وحدتي، ويضخمها داخلي.

الأسابيع الثلاثة الأولى لم تكن سيئة، كنا ننام سويا ونصحو سويا، نجهز إفطارنا بأنفسنا، لا خدم ليجعلوا الحياة أسهل وغير معقدة، أعمال المنزل كانت تأخذ الكثير من أوقاتنا، ربما لأنني أعرف أن الوحدة ستسيطر على أعصابي بلا رحمة، نعم أنا سعيدة معه، لكن أريد شيئا لن يوفره هو لي، حتى لو بذل كل جهده لإسعادي، أريد والداي أريد أن أخبرهما كم كنت سعيدة، وكم اشتقت لهما، لدي فجوة ضخمة في قلبي لن يملأها سواهما، ستيل ليس متأثر بفراق والديه مثلي، فهو معتاد على ذلك منذ سنين، إنهم هم من أشعلوا شرارة الحكم في قلبه، وهما راضيان بالنتائج، متكيفان مع الظروف، والداي لم يختارا شيء من ذلك، استيقظا في مكان غريب بين غرباء، ليكتشفا أن ابنتهم زوجة امبراطور، مختطفة والآن في منفى لأسباب لن يتقبلاها، غابا عن الحياة، وقد كانت بسيطة، وكل ما حولهما تحت سيطرتهما، وأفاقا على حياة معقدة، لا يمتلكان حتى الحق لرؤية ابنتهما الوحيدة.

بعد ثلاثة أشهر من استقرارهم على الجزيرة...

يقطع السماء محلقا في الهواء، ثم يهبط على بضع أمتار منها، لدقائق قليلة يتأمل هدوءها، ومداعبة النسيم البارد لشعرها الأسود، ترتدي حذاءً أبيضًا مسطحا، وفستانًا صيفيًا أصفرًا يماثل لون شمس الصباح، بالكاد تغطي أطرافه ركبتيها، تتكئ على السور الخشبي الذي يحميها من السقوط على البحر، دقات قلبه تعلو وتضطرب بسببها، مايزال يحبها، مايزال يتعذب.

يقطع الطريق إليها بخطوات كسولة خائبة ليقف بجانبها.

تلتفت إليه ثم تعيد وجهها إلى البحر، ونور البدر ينعكس على أمواجه الهادئة، خيبة أمل تظهر في زفرة حارة أطلقتها من فمها.

_ ألم يستجيبوا لطلبي؟

يرد عليها وهو يستشعر نفورها المتزايد منه:

_ لا.

_ مرت عشر سنوات منذ آخر محادثة بيننا، يقتلني الشعور بالوحدة دونهما.

أخرج بتردد جهاز صغير، ومد كفه المنبسط إليها فعلمت فورا ماهو، استاءت بشدة، وأخذته منه ثم رمته بعنف ليسقط بعيدا عنهما، ويغوص في أعماق المحيط البارد، ثم شدت قميصه بيديها الاثنتان غاضبة، توتر توماس من ردة فعلها مستمعا لكلماتها المرتجفة:

_ لا أريد رسائل، لا أريد تسجيلات، أريد أن ألمسهما، أن أحتضنهما من جديد، أريد أن أشعر بأنني ابنة أحدهم، بأنني لم أتيتم ذلك اليوم.

ثم انتبهت على نفسها، وأحست بيده الوحيدة، وهي تزيح يديها عنه برفق، ابتعدت عنه، وتراجعت خطوتين إلى الوراء، واستقبلت البحر بوجهها، تناضل لتتماسك أمامه خشية أن تنساب دموعها.

_أنتم تخرجوني من طوري بحرمانكم من والداي، لا أطيق الفكرة بأنهما يتحدثان مع الجميع سواي.

ثم نظرت إليه وكأنها تتهمه:

_ إني أغار منك عليهما، تراهما وتسمع صوتهما يطلان على عينيك، وأنا هنا لا يحق لي إلا بذل الشوق لهما، والحزن بعيدا عنهما.

لم يرد الشماتة بها، لكن صوته بدا كذلك، كان غيرانًا لا شامتًا

_ لو لم تتزوجي بستيل لما نفيت وأبعدت عنهما.

اندفعت تدافع عن زوجها مستاءة مما قاله:

_ ستيل هو السبب بعد الله في صحوتهما الآن، وهذا يكفيني، نعم يعذبني فراقهما لكن يريحني بأنهما ليسا سجينين لأجسادهما.

لم يرغب في زيادة آلامها فقال مرتجيا ردة فعل حسنة منها:

_ إنهما بخير، والداك، نعم غاضبان، ويكيلان الشتائم للجميع، لكنهما بصحة جيدة، يعيشان في مسكنك في الإمبراطورية.

عادت آستر لهدوئها وابتسمت برقة وكأنها تتذكرهما.

_ هكذا هم والداي، شرسان عنيفان عندما يتعلق الأمر بي، كما أنكم تستحقون ما تتعرضون له منهما.

سرعان ما تعود إلى ضيقتها فتدمع عينها للتجاوز رمشها قبل أن تمسحها بيدها.

_ أتمنى أن أجتمع بهما قبل أن يتغير العالم في داخلي، لدي ذاك الإحساس الغريب، وكأن صدري يضيق رويدا رويدا، وكأن أمرا رهيبا سيحدث في العالم، لا أعلم متى وكيف.

قالت الكلمة الأخيرة وقد ألتفتت عليه وعيناها تظهر الخوف من المجهول.

_ وسيحتاج لكم العالم أيها الخارقون، بينما نحن الطبيعيون سنكون الحواجز التي تبطئكم، والأفكار التي تشغلكم.

عالم عبقري في إمبراطورية ستيل قال لي ذات مرة، (لكل فعل ردة فعل، وأنتم ردود فعلٍ لحدث مستقبلي) أنا أعلم بأنه أمر سيء، سيء للغاية.

قال هو:

_ مهما يحدث دائما ستكونين بخير يا آستر.

ترجع إلى الخلف، وتقبض على السور بيديها:

_ هل من الممكن أن أطلب منك خدمة أخرى توماس؟

قال توماس بلا تردد عله أن يخفف بخدمتها إحساسه بالذنب:

_ أي شيء.

نظرت مباشرة إلى عينيه وقالت بصوت مرتعش، وعينان دامعتان فاتنتان:

_ لا أريد أن أراك بعد اليوم، سامحتك على كل ما حدث على سطح القمر، فما قيمة ظفر مقارنة بحياتي، لكن أن تزرع قنبلة في رأسي هذا صفح لا طاقة لي به، حتى لو انتهى العالم، حتى لو كنت أموت، لا أريد أن أراك لا أريد أن تنقذني.

انفعلت باكية وظل هو متجمدا في مطرحه، لا يقدر على تهدئتها، أو إخبارها بالحقيقة، الحقيقة التي ستصنع سلام بينهما، وحربا بين العالم وزوجها.

انسحبت مغلوبة في أمرها، عائدة إلى منزلها، تركته هناك يسترجع ذاكرة عمرها بضعة أشهر.

في قاعة الجراحة الباردة، يجلس أليكس في ركن بعيد يراقب الجراحون وهم يتحضرون لزراعة القنبلة التي بحجم حبة لؤلؤة صغيرة داخل رأس آستر، في الركن الآخر من الغرفة توجد مغسلة صغيرة، وبجانب المغسلة طاولة معدنية ممتلئة بأدوات الجراحة المعقدة، وقفازاتها وأغطية الشعر الخضراء، آستر تحت تأثير المخدر ترقد في غياب تام عن الوعي على سرير أزرق اللون، تعلوها كشافات الجراحة الحديثة، عاجزة عن إيقافهم، عاجزة عن الدفاع عن حياتها، وجود أليكس في الغرفة كان إلزاميا، فقط يجلس يراقبهم من بعيد، يرتدي ما يرتدون من اللباس الأخضر وأغطية الشعر، وهم يعملون متجاهلون ما يفعل، يكتب عدة كلمات في هاتفه، ويرسلها لتوماس (إذا أردت أن تمنعهم عليك أن تفعل ذلك الآن) ويدس هاتفه داخل جيبه، ثم يخرج مسدسا كاتما للصوت قد أخفاه داخل قميصه، يأخذ نفسا عميقا، ويطلق الرصاص على أقرب هدف له، دون أن يقف، ينهار الجراح الأول، وسط تساؤل واستغراب بقية الجراحين الأربعة الذين استداروا ليقابلوا أليكس بعيون مذعورة، يفزعهم دخول توماس المفاجئ، يركل الباب بقدمه حاملا مسدسا كاتما للصوت، ويطلق الرصاص على الجراح الثاني والثالث، فيصيح الرابع باكيا:

_ لمَ تفعل؟ لا تقتلني أرجوك أن...

يطلق توماس عليه النار ببرود، دون أن يهتم لبقية جملته.

أليكس يدفع أحد الجراحين بعيدا عن سرير آستر.

_ يخدعون خمسة أشخاص بحياة جديدة، ثم يزرعون القنابل في رؤوسهم، لا أفهم دهشتهم حين قُتلوا، ما تزرعه هو ما تحصده أيها الرجل الميت.

توماس يزيح جثث الموتى بعيدا عن آستر، ويصفها بجانب الحيطان النظيفة لتتلوث بالدماء.

_ اِزرع الجهاز البديل في رأسها، عليك أن تنتهي قبل أن تعود كاميرات المراقبة للعمل، لديك ساعة واحدة.

ثم قال بتهكم وهو يراقب أليكس الذي يغسل يديه في المغسلة الصغيرة:

_ ويا أليكس لا تقتل الفتاة.

أليكس يتجاهله وهو يجاهد في تبديل قفازاته وغطاء شعره بأخرى نظيفة، فقد مر وقت طويل على دخوله غرف الجراحة، كما أنه وحده الذي يمتلك خبرة فيما سيفعله، يفتح علبة صغيرة، كان قد وضعها على سرير آستر بعد أن أنهوا جميع الجراحين، والتقط ما بداخلها كانت كرة معدنية صغيرة تشبه في حجمها القنبلة التي كادوا أن يزرعوها في رأس آستر، لكن هذه تختلف في لونها فهي أشدّ بياضًا من الأولى، التقطها بملقط حديدي، ووضعها بداخل الشق الذي في جانب رأس آستر، وقال يأمر توماس:

_ اخرج هاتفي من جيبي، وافتح تطبيق بديل القنبلة.

ضاقت عينا توماس، وهو يمتثل لأوامره، وقال بلهجة مستفزة:

_ هلا جعلت خيانتنا أكثر وضوحا.

رد أليكس وهو يدفع الكرة الصغيرة في دماغ آستر أكثر وأكثر بعود معدني.

_ امنحني وقتا أطول في المرة القادمة، قبل أن تخطط لخيانة القيادة، بعدها اشترط كما تحب.

أُحرج توماس من نفسه، ولم يجد ما يرد به سوى الامتنان لأليكس الذي وافقه في خطته العاجلة دون أسئلة، دون اعتراض.

_ شكرا أليكس، على كل شيء.

رد أليكس وهو منشغل في عمله:

_ لا تشكرني الآن، كما أنني لن أسمح لك بإجراء عملية جراحية على هذه الفتاة المسكينة.

ثم ابتعد خطوة عن آستر ودنا من توماس.

_ الآن أنظر إلى الجهاز إذا تحول لون الأرقام إلى اللون الأخضر فهذا يعني بأننا نجحنا.

_ وإن لم يفعل؟

رد أليكس بوجه شاحب:

_ ستلاحقنا فرقة عدالة أخرى خاصة بنا.

مرت خمس دقائق بدت لهما أنها تمددت لخمس ساعات، فقط لتغيظهما، لتجعلهما يتعرقان بقلق، أعينهما مترصدة لتلتقط اللون الأخضر، وأخيرا تحولت الأرقام إلى اللون الأخضر، فتنفس الاثنان الهواء براحة.

قال أليكس وهو يقرن قوله بالعمل:

_ إنها تعمل سأخيط الجرح الآن.

_ نعم اِفعل ذلك، وأنا سأحتفظ بالقنبلة معي.

انتهت الساعة، وانتهى قبلها عملهم.

دخل عليهم رجلا مسنا، يلبس بذلة رسمية باهظة، يستند بيده اليمنى على عصا خشبية متوجة بجوهرة كبيرة من الألماس الأزرق، فيما تنشغل يده اليسرى بسيجارة كوبية مشتعلة، ينفث الدخان من شفاهه النحيلة ويقول بعجرفة مشمئزًا:

_ هل أنهيت العمل؟

وقف توماس وأليكس مؤديان التحية العسكرية، ونطق توماس:

_ نعم سيدي.

_ جيد، جيد جدًا. وهل سينفجر رأسها متى ما أردنا؟

قال أليكس بعد أن ابتلع ريقه:

_ نعم سيدي.

قال الرجل المسن باحتقار قبل أن يغادر:

_ لمَ إذن هي هنا؟ خذوها إلى مجنونها قبل أن يفجر العالم، وتخلصا من الجثث، منظرها المقزز يخدش عيني.

انتظرا الاثنان حتى اطمئنا لمغادرته، تبادلا نظرات قلقة.

قال أليكس بصوت مضطرب:

_ ستلعننا كل يوم وليلة.

زفر توماس بحرارة، وألقى عليها نظرة مطولة.

_ فلتفعل إن كان هذا يبقيها تتنفس.

النهاية...

ماذا قد يُكسبك الحب؟!

هدايًا وأزهارًا، أشواقًا وابتسامات

أو ربما

سجنا مظلما، مخاوفًا وآلامًا..

أوه، هل فهمتم بأنه سجنا معنويا؟ لا لا

أقصد سجنا حقيقيا بقضبان حديدية، وسجان قاس غير رحيم!

حرب ضروس وشيكة، ما بين الخير والشر!

وقلب صغير غير قادر على التفريق بينهما..

أو على الأقل، هذا كسبي بسبب ما تسمونه الحب، العشق، الهوى.

تحياتي، محدثتكم: آستر جون.

obeikan.com